أبحاث ندوة عمارة المساجد، م٢أ، ص ص ٦٥-٩٧، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود (١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩م)

عمارة المساجد في مرتفعات جنوب غرب المملكة العربية السعودية: أنماطها المعمارية وتأثرها بعمارة مسجد الرسول صلي الله عليه وآله سلم

محمد بن عبد الله بن صالح

قسم العمارة وعلوم البناء، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود

الرياض، المملكة العربية السعودية

ملخص البحث: جذب النمط المعماري للمسجد انتباه الكثير من العلماء والمتخصصين نتيجة لخواصه الملموسة ودوره في إعطاء صورة للمناخ الفكري والديني في المجتمع، حيث رَسَّخ وجود المسجد المعتقدات الإسلامية بإيجاده بيئة ملموسة تهتم بالتهذيب النفسي لأفراد المجتمع المسلم من خلال ممارستهم للعبادة المستمرة.

إن دراسة الأنماط الأصلية لعمارة المساجد في مرتفعات جنوب غرب المملكة العربية السعودية وما يرتبط بها من عناصر تخطيطية ومعمارية وفنية وزخرفية ومدى تأثرها بمسجد الرسول ﷺ تعتبر مسألة حيوية وضرورية في الوقت الحالي.

وجد أن التباين في أنماط العمران للقرى في مرتفعات جنوب غرب المملكة برز نتيجة للتطور التاريخي للمباني السكنية والثقافية والدينية. فالمسجد منذ القدم له أهمية معنوية في عمارة وتخطيط الحي والقرية، غير أن التراجع المستمر في مفاهيم التخطيط العمراني المحلي أمام المد الفكري القادم من الخارج قد أوهن ذلك التأثير. لذا كان لابد من نظرة تدعو المخططين والمعماريين والباحثين في مجال التخطيط والعمارة إلى التمهل وإعادة النظر في موقفهم من تضمين التراث العمراني والمعماري عند تخطيط وتصميم الأحياء والمباني العامة والخاصة في البيئة العمرانية. بحيث لا يقتصر الأمر على مجرد الدراسة التسجيلية ، بهدف توثيق ذلك التراث الغني المعرَّض للضياع مع الزمن، بل السعي إلى استيعابه وفهمه وإدراك المعاني الكامنة في تراكيبه وأشكاله. من هنا تأتي أهمية هذا البحث الذي يتناول بالتحليل العناصر التخطيطية والمعمارية والفنية والزخرفية الموجودة في أنماط العمران للقرى في مرتفعات جنوب غرب المملكة العربية السعودية، وذلك للاستفادة منها والوصول إلى صياغة معاصرة لها في مواجهة التيارات المعمارية والعمرانية الجارفة والوافدة.

المقدمة

نشأ أول حيز فراغي حضري لمسجد جامع عندما قام الرسول ﷺ ببناء أول مسجد جامع في الإسلام في المدينة المنورة واضعاً بذلك مثالاً يحتذى به من قبل جميع مراكز المدن الإسلامية الحضرية في السنة الأولى للهجرة وذلك فيما يوافق سنة ٦٢٢ ميلادية.[١] أخذ المسجد في كل عصر من عصور الحضارة الإسلامية طابعاً مميزاً من حيث شكله وزخرفته ونمطه المعماري. فبعد أن تفاعلت مفاهيم الإسلام مع التراث والبيئة المحلية للمناطق التي دخلها الإسلام مُشَكِلة بذلك نمطاً معمارياً مميزاً للعمارة والفنون الإسلامية في المكان والزمان.

وقد حظي المسجد بكل الاهتمام في بنائه وعمارته، فمع أن الإسلام دين التواضع والفطرة السليمة، إلا أن العناية بالمسجد من حيث شكله الخارجي وتصميمه الداخلي كانت موضع حرص المسلمين واهتمامهم - دون مبالغة - في كثير من الأحوال ، وذلك لما يمثله المسجد بالنسبة لدينهم وعقيدتهم، ليس في كونه مكاناً للعبادة فحسب وإنما كمدرسة جامعة تدار فيها شؤون الأمة الإسلامية على مدار الزمن دون انقطاع.[٢] فإن حرص المسلمين واهتمامهم بعمارة المسجد وإدارته واستغلاله بما يفيد يعتبر تمييزاً له عن سائر الأبنية الأخرى وإبرازاً لعظم احتفاء المسلمين بمكانته ورسالته، ومما لاشك فيه أن عمارة المسجد تنوعت في مشارق الأرض ومغاربها في بلاد المسلمين وغير بلاد المسلمين طبقاً لظروف كل بلد من هذه البلاد وعاداتها وتقاليدها ومواد وأساليب البناء فيها.

كان المسجد في عهد رسول الله ﷺ ، والخلفاء الراشدين من بعده غاية في البساطة والتواضع من ناحية المظهر، عميق الأثر في الجوهر. فاتخاذ البساطة مع النظافة في تصميم المسجد أبلغ وأعمق أثراً من الزخرفة المبالغ فيها، لأن الزخارف في الجدران والسقف والفرش تشغل المسلم عن صلاته وتصرفه عن الخشوع والخضوع والتفكر والتدبر.

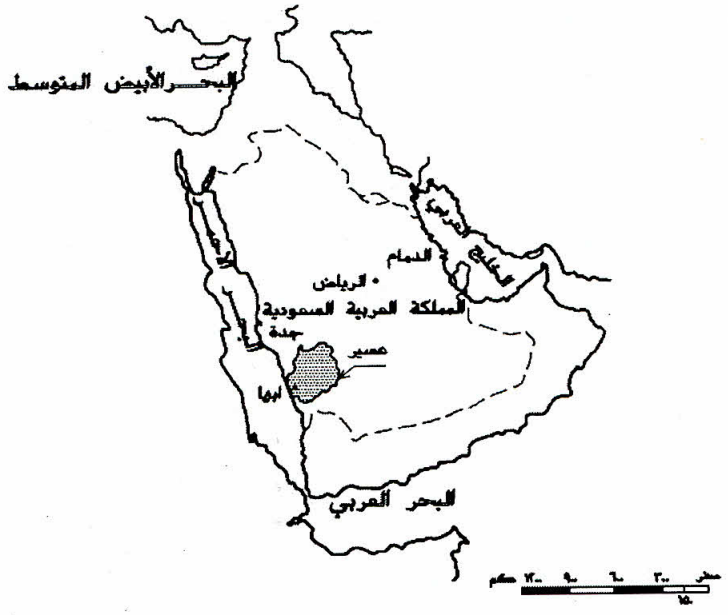
يتضح مما سبق أن تصميم المساجد وتطور أنماطها المعمارية في مختلف أصقاع العالم الإسلامي يشكل أطراً متعددة للبناء النظري والمفهوميات حول تأثير مسجد الرسول ﷺ على تصميمها وتخطيطها.

حدد بعض الباحثين الغرض من دراسة التاريخ المعماري بصفة عامةً بأنه استخلاص نظريات وقيم تطبق على العمارة المعاصرة. [٣] أما فيما يخص عمارة المساجد فهو السعي إلى استيعاب التاريخ المعماري لها وفهمه وإدراك المعاني الكامنة في تراكيب المساجد المعمارية والفنية وأشكالها وأنماطها.

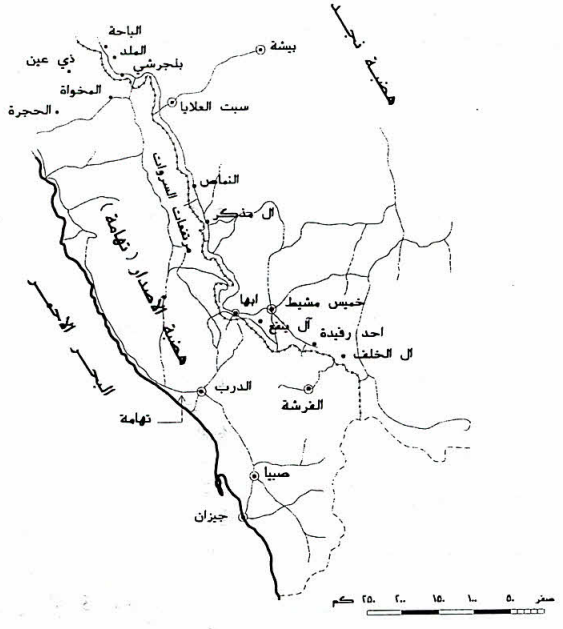
فالبعد التاريخي وراء اختيار مرتفعات جنوب غرب المملكة العربية السعودية كوسط للبحث والدراسة في أنماط عمارة المساجد وتأثرها بمسجد المدينة النبوية يكمن في دخول المنطقة في الإسلام دون حرب في زمن الرسول ﷺ (شكل:١، ٢). فالمنطقة من أهم وأغنى المناطق في شبه جزيرة العرب حيث نرى الاستيطان في القرى والاعتماد على الزراعة والرعي كمصدرين اعتمد عليهما السكان في تصريف شؤون الحياة. فالمنطقة قدَّمت للدولة الإسلامية في بداية تكوينها الكوادر البشرية من المجاهدين وكذلك أمدتهم بالموارد المادية نظراً لغناها مقارنة ببقية مناطق شبه الجزيرة العربية. وقد ساعدت وعورة تضاريس المنطقة في إعطائها صفة العزلة والاستقلال وعدم الخضوع إلى هيمنة خارجية مما أعطى عمرانها تميزاً وانفراداً ليس له مثيل في العالم. لذا نرى أن عمرانها التقليدي امتد تاريخه حتى عهد قريب عندما توحدت المنطقة في نطاق المملكة العربية السعودية في عام ١٣٣٨هـ.

واكب تأسيس المملكة على يد الملك عبد العزيز رحمه الله عام ١٣٥١هـ سهولة التواصل بين المناطق الجغرافية المختلفة للمملكة وحرية الحركة لمهرة البناء ومواد البناء بين المناطق مما أعطى فرصة للتبادل في طرز المباني المحلية بين المناطق المختلفة. فالنمط المعماري الناجح لعمارة المسجد يعتبر تأكيداً للعلاقة بين المفاهيم الإسلامية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وذلك عند اختيار الموقع الذي تنطلق منه الشوارع والطرقات وتحيط به المرافق العامة والمساكن ليحقق الاستخدام الأمثل للمسجد. وهنا نحاول أن نستكشف و نوثق هذه العلاقة للمساجد التقليدية القائمة في عدد من القرى بمرتفعات جنوب غرب المملكة من خلال استعراض أنماط عمارة المساجد وملامح وسمات بنائها قديماً وحديثاً ومدى المحافظة على بعض هذه الملامح والسمات في المساجد

الجديدة. كما نقوّم تأثرها بمسجد الرسول ﷺ . كما نحاول أن نوثق تأثيرها على الترتيبات الفراغية والشكل العمراني للقرية في تلك المنطقة.



شكل ١: خريطة توضح موقع منطقة الدراسة بالنسبة للمملكة العربية السعودية.



شكل٢: خريطة توضح مواقع الدراسة في قرى ومدن مرتفعات السروات والتقسيم الجغرافي لمناطق الحصون والقصبات.

منهجية البحث

لتحقيق ذلك يحاول هذا المبحث دراسة عمارة المساجد في مرتفعات جنوب غرب المملكة ، واستقصاء العوامل التاريخية والاقتصادية والبيئية التي ساهمت في تطوير تلك العمارة. يبدأ البحث بنبذة عن العمارة التقليدية للمساجد مع التركيز على تطور عمارة مسجد الرسول صلي الله عليه وآله وسلم في المدينة النبوية. بعد ذلك يناقش البحث تصنيف المساجد في العالم الإسلامي ويتطرق إلى عناصر المسجد الرئيسية قبل أن ينتقل إلى استعراض تاريخي لتطور عمارة المساجد بمرتفعات السروات، يلي ذلك تصنيف للمساجد الموجودة في المنطقة واستعراض لبعض الأمثلة المختارة قديماً وحديثاً. ويناقش البحث كذلك إشكالية تأصيل عمارة المساجد في الممارسة المعاصرة ويُتَوّج البحث باستنتاج يوضح دور المعماري والمخطط في عمارة وتخطيط المسجد المستقبلية.

اعتمد هذا البحث على القيام بأعمال مسح ميدانية في ثلاث من القرى التقليدية بمرتفعات السروات بجنوب غرب المملكة. والقرى هي الملد (الباحة) والعكاس (عسير) وآل الخلف (عسير) وذلك خلال الفترة من ١٤١٢-١٤١٧هـ للتعرف على أنماط عمارة المساجد تم خلالها الوقوف على الكثير من المساجد داخل وخارج القرى كعناصر عمرانية رئيسية. وكذلك التعرف على السبل التي أدخلها مهرةُ البناء والملاك ومتخذوا القرار في إيجاد حلول عملية لمواقع بيوت الله في البيئة المبنية في تلك القرى، كما اعتمد هذا البحث على استقراء المفاهيم التخطيطية لمسجد الرسول ﷺ أثناء مراجعة أدبيات البحث ومدى التزام مهرة البناء والملاك ومتخذي القرار بذلك.

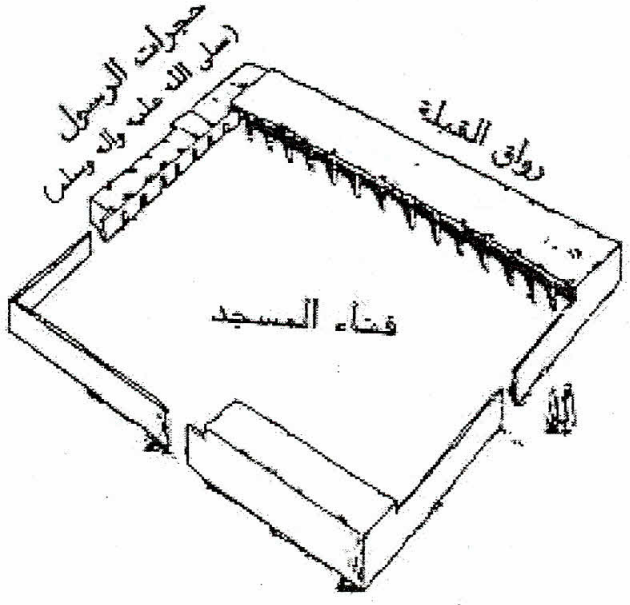
العمارة النبوية للمسجد: المبادئ الأساسية للتخطيط والتصميم

المسجد هو النواة الأساسية والعلامة المميزة للمدن الإسلامية منذ هجرة رسولنا الكريم ﷺ إلى يثرب وتسميته إياها بعد ذلك بالمدينة وبنائه مسجده فيها.

فمنذ أن وضع الرسول ﷺ أول مخطط لأول مسجد في الإسلام تركز النمو العمراني حوله وأصبح مركز المدينة الحضري ومنه انطلقت الدعوة إلى دين الله والتمسك بعروته الوثقى والتحضر وترك البداوة. وذلك عندما التف فيه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين حول المصطفى ﷺ . انتقل هذا المخطط إلى كافة أصقاع الجزيرة العربية، وظل محافظاً على شكله دون أي تغيير جوهري، فقد كان مخططاً متواضعاً وحيداً يتوسط أحياء المدينة ويقرّب شتاتها وهذا هو المعيار التخطيطي الأساسي للمسجد.

أما التكوين المعماري للمسجد فهو مكونٌ من ثلاثة أروقة يستظل بها المصلون والمتعبدون، وفناء كبير، والمسجد ذو مداخل عدة ولا يوجد به مئذنة أو محراب (مجوف) (شكل-٣). هذه مواصفات يمكن استنباط الكثير من معايير التصميم منها. إذ إن الرسول ﷺ قد وضع ثوابت في تصميم المسجد لا يمكن المساس بها من أهمها اتجاه القبلة لصفوف المسجد واستطالة شكله ومنبر يعلو عليه الخطيب أما المتغيرات التي لا تنطوي على محرم شرعي فقد

أباحها علماء المسلمين. و لم يبتعد هذا المخطط الأصلي عن ملامحه العمرانية والمعمارية بشكل ملحوظ إلا في بلاد الشام وما بين النهرين ووادي النيل، حيث أتاح تفاعل الحضارات المتنوعة مزيداً من التطوير والإضافات، فاختيار موقع المسجد (بيت الله) وحوله البيوت يشكل ضمناً النواة للعمارة الإسلامية لأن المسجد هو مكان تجمع المسلمين وتعاونهم على البر والتقوى. بينما بقي المسجد في شبه الجزيرة العربية أقرب ما يكون في تصميمه لشكل المسجد الإسلامي الأصيل، أي لمخطط المسجد النبوي الأصلي. فالمسجد التقليدي في بلدان شبه الجزيرة لا يزال مكوناً من فناء كبير مكشوف، وأروقة مفتوحة ومئذنة ومحراب. ومع ذلك يمكننا أن نلاحظ أن هذا المسجد الذي ظل محافظاً على أصالته المعمارية في بلدان شبه الجزيرة العربية طيلة أربعة عشر قرناً من الزمان، بدأ في الحقبة الأخيرة يقع تحت تأثير بعض الأساليب المعمارية الحديثة الوافدة، التي أخذت تحل بالتدريج محل الخبرة المعمارية التي توارثها المعماري المحلي وتناقلها أباً عن جد عبر القرون.



شكل ٣: تصور لمسجد الرسول ﷺ يوضح المبادئ الأساسية لتصميم المسجد. [٤]

فالمسجد نواة لكل تجمع سكني وعنصر أساسي في عمارة القرى والمدن وهو رمز لكل عصر ولكل شعب مسلم فإذا سألت عن جماعة في أي دولة من دول المسلمين انظر وابحث عن المساجد التي عمروها. [٥]

فالنمو السريع الذي تمر به كثير من مدن العالم الإسلامي أفقد معظم أحياء هذه المدن معالمها العمرانية الإسلامية والتي من أهمها انطلاق شوارع وساحات الحي من بيوت الله(المساجد).

والتعبير عن المساجد بالبيوت يدل على أن المؤمن لا تلهه أمور الدنيا عن أداء الصلاة في وقتها في المساجد ولكنْ هناك استنباط آخر وهو أن المساجد يجب خلوّها من كلّ شيء يلهي المصلين عن صلاتهم ويشتت أفكارهم وخشوعهم في المساجد، ولذلك كانت مساجد الإسلام الأولى التي اتبعت نمط عمارة مسجد رسول الله ﷺ

بالمدينة النبوية خالية من الفتحات وخاصة في جدار القبلة أمام المصلين اللهم إلا فتحات في ظهر المساجد خلف المصلين للإضاءة. وذلك لأن المصلي إذا دخل المسجد يجب أن ينقطع عن أمور الدنيا ويكون همه الأول التفكر في الآخرة والحساب والصراط والحرص على الجنة والخوف من النار. بل إن المساجد التي تتبع نمط عمارة مسجد رسول الله ﷺ مداخلها كذلك من خلف المصلين وليست عن يمين المصلين أو يسارهم حتى لا يتخطى المصلون رقاب بعضهم وأن إتمام الصفوف يأتي من الخلف وليس من الجوانب.

والمبدأ الأساسي في تصميم مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم هو اتخاذ شكل مستطيل يكون الطول فيه جدار القبلة، والعرض جانبي المسجد عن اليمين وعن الشمال. وهناك دلائل من السنة تكشف النقاب عن أساليب اختيار هذا الشكل وتبين وتساعد على تأويل عمارة مسجد رسول الله ﷺ بل وتأويل المسجد عامة كما يتفق مع قواعد الكتاب والسنة.[٦]

والأحاديث في هذا الباب كثيرة ومشهورة منها ما روي عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : "لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لا ستهموا عليه" متفق عليه. والنداء هو الأذان والاستهام هو الاقتراع في دخول الصف.

والحديث يبين مدى أهمية الصف الأول في المسجد. والحديث الآخر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال إنه سمع رسول الله ﷺ يقول : "خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها" رواه مسلم. وليس هناك دليل أكبر من نيل الثواب بالصلاة في الصف الأول.

ومن هذه الأدلة ننتقل الى تأويل عمارة المسجد النبوي الشريف وسبب اتخاذه شكلا مستطيلا، الطول فيه هو جدار القبلة. والسبب هو حث رسول الله ﷺ على أن يكون الصف الأول أطول ما يكون لأهميته. بل هناك استنباط آخر كذلك هو أن طول الصفوف أهم من كثرتها حتى يتمكن المصلون في الصفوف المتأخرة من الإنصات إلى الإمام ومتابعته.

والعبرة أن فناء مسجد رسول الله ﷺ كان يجلس فيه رسول الله ويحدث صحابته لذا ينبغي أن نستعمل أفنية المساجد لهذا الغرض.

ويمكن القول بأن مساجد دار الإسلام الأولى شرقا وغربا كانت مطابقة لشكل مسجد رسول الله ﷺ إلا أنه بعد توسع رقعة الإسلام استلزم الأمر إضافة بعض العناصر للمسجد ومن أهمها المحراب والمئذنة والتي أضيفت فيما بعد لمسجد الرسول ﷺ .

وقد صاحب ظهور المئذنة والتجويف بالمحراب لأول مرة في المساجد بروز معارضة من بعض الفقهاء على أساس أنها بدع، وأنها تقليد للمحاريب والأبراج الموجودة في الكنائس، لكن أهمية التجويف بالمحراب وكذلك المئذنة في إعطاء دلالة على مبنى المسجد من الخارج. ولما للمئذنة من دور في التبليغ للأذان والدعوة للصلاة فقد أصبح المحراب والمئذنة من الضروريات الملحة التي لا يمكن الاستغناء عنهما في الوقت الحاضر. وهما الآن من أهم العناصر الرئيسة لمبنى المسجد. وقد جرت العادة أن يكون في كل مسجد محراب واحد، الا أن هناك بعض المساجد يوجد بها أكثر من محراب حيث يمثل كل محراب مكانا للصلاة في وقت معين كالشتاء في الخلوات والصيف على أسطح

المساجد. فالمحاريب من حيث مسقطها الأفقي عبارة عن: نصف دائرية أو مستطيلة أو مربعة أو كثيرة الأضلاع والغالب أن إضافة التجويف كانت في زمن الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه.[٧]

أما المنارة فلم تكن معروفة أيام بناء مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم حيث كان بلال (رضى الله عنه) يؤذن للصلاة من فوق سطح أحد البيوت القريبة من المسجد والأرجح أن إضافة المئذنة كان فى عصر الخلافة الأموية. وأصبحت المنارات بعد ذلك سمة رئيسة من سمات المسجد وعنصرا معماريا بارزا يتفنن المعماريون في تصميمه . وعلى العموم فالمنارة هي برج مجوف يحتوي على سلم يصعده المؤذن لرفع الأذان وقد يكون في المنارة شرفة أو أكثر.[٨]

لقد ساهم إدخال هذين العنصرين في إعطاء سمة وشخصية تعريفية للمسجد مما يسهل على المسلمين سهولة الاهتداء له. لقد تطور بناء المسجد من البساطة إلى المبالغة وارتفعت عمارته مع تغير الهدف من تحقيق غرض إلى خلق فن إسلامي بديع.[٩]

الخلفية النظرية

حظيت المساجد بنصيب وافر من اهتمامات الباحثين من المسلمين وغيرهم وركزت معظم الدراسات على جوانب متعددة كالدراسات الشرعية التي ركزت على الأحكام الشرعية المتعلقة ببناء المساجد وآدابها والبدع التي أدخلت عليها وكذلك دورها كمراكز إشعاع لنشر الثقافة الإسلامية وتهذيب المجتمع.[٨] كما أن الدراسات المعمارية ركزت على النواحي المعمارية والفنية في بناء المسجد وخصوصا المساجد التاريخية الرئيسية واختلاف طرزها المعمارية .[١١-١٢] وقد أخذ وصف وتطور بعض عناصر المسجد المعمارية مثل قاعة الصلاة والقباب والمنارات والمحاريب وطرزها المعمارية وتأثرها ببعض الحضارات الأخرى نصيب الأسد من هذه الدراسات.[١٣] بينما انصب اهتمام دراسات المسجد كنواة للمدينة الإسلامية على محاولة شرح وتفسير التنظيم المكاني له ضمن النسيج العمراني للمدينة الإسلامية .[١٤] كما أن نمط توزيعها وتخطيطها من الناحية المكانية قد أخذ جانبا رئيسيا في أدبيات البحث. [١٥-١٦]

منذ بناء المسجد الأول في الإسلام الذي أقامه رسول الله ﷺ لم تتغير طبيعة وتعدد وظائفه حيث كانت عمارة المساجد في مرتفعات جنوب غرب المملكة مسؤولية أهل القرية أو الحي.[١٧] ومن مشاهداتي الميدانية لبعض المساجد التقليدية في المنطقة وكذلك من أحاديث بعض الرواة التي اعتمدت عليهم في هذا البحث تبين لى أن هناك الكثير من أوجه الشبه بين مسجد الرسول ﷺ وبين مساجد مرتفعات جنوب غرب المملكة . فكون المسجد وحيدا في أغلب القرى ومركز اتصال وحركة الناس وانعدام الفتحات في جداره القبلي وخلوه من الزخارف الملهية وباب دخول صالة الصلاة من الخلف وعدم وجود مصليات خاصة للنساء كلها سمات تؤكد الارتباط التصميمي بمسجد الرسول ﷺ والتي يجب الالتزام بتوفرها عند بناء المسجد. إلا أن الكثير من التغيرات والتطورات والتقدم العمراني والحضاري السريع الذي تمر به المملكة انعكست على التكوين العمراني لفراغ المسجد الحديث بالإضافة إلى تغير في الأنظمة الإنشائية ومواد البناء المستخدمة متأثرة بالتغييرات والاختلافات

الإقليمية والثقافية والتقنية. صاحب ذلك تطور في الأنظمة التقنية مثل أنظمة تكييف الهواء والإضاءة وأنظمة تقوية الصوت والتي أثرت على تطور تصميم فراغ المسجد والأداء البيئي له ، حيث ترتبط جميع الأنشطة التي تؤدى في المسجد بمدى ارتياح المصلين لسماع وفهم صوت الإمام أو المتحدث أو المحاضر، لتوفير بيئة صوتية وحرارية وضوئية مناسبة بالمسجد.

التصنيف المعماري لعمارة المساجد في العالم الإسلامي

صنف أحد الباحثين المساجد من الناحية المعمارية إلى سبعة أنواع: [١٨]

١. النموذج النبوي (مثل المسجد النبوي) فناء مستطيل مع رواق على جدار أو أكثر.
٢. النموذج ذو الجاز القاطع (مثل المسجد الأموي في دمشق) حيث يوجد ممر رئيس متعامد على جدار القبلة.
٣. النموذج ذو الأكتاف البنائية (مثل جامع أحمد بن طولون في القاهرة) حيث الجدران ذات الفتحات المقوسة تحل محل الأعمدة.
٤. النموذج ذو الإيوان فناء مستطيل تحيط به إيوانات مفتوحة عليه (مثل بعض الجوامع المملوكية والأيوبية في مصر).
٥. الجامع ذو الإيوانان والمدرسة، هو جامع إيواني لكن ملحق به غرف للدروس الدينية ولسكن طلاب العلم (مثل مسجد السلطان حسن في القاهرة).
٦. المساجد المعلقة، حيث يحتل المسجد الدور العلوي من بناية، بينما يستخدم الدور الأرضي كمتاجر يوقف ريعها للمسجد، وهذا الطراز شائع في الحجاز وتركيا ومصر والقصيم.
٧. النموذج ذو القبة المسيطرة، ويقصد به الطراز العثماني، حيث المسجد عبارة عن قاعة ضخمة تغطيها قبة هائلة بالإضافة إلى عدد من القباب الصغيرة وأنصاف القباب (مثل مسجد السلطان أحمد في اسطنبول).

عمارة المساجد في مرتفعات جنوب غرب المملكة

كان اهتمام سكان مرتفعات جنوب غرب المملكة بعمارة المساجد يمثل السمة البارزة للمجتمع وتعبيرا صادقا عن حبهم لهذا الدين والتعلق به منذ فجر الإسلام.

للمساجد التقليدية في المنطقة كثير من الملامح والسمات المعمارية المميزة والتي طورت محليا وما زالت بعض هذه المساجد باقية حتى الآن تؤدي دورها في خدمة السكان، ومع زيادة عدد السكان في المنطقة والحاجة الملحة إلى وجود مساجد جديدة تم بناء أعداد أخرى من المساجد بعضها يحمل بعض سمات وملامح المساجد القديمة والبعض الآخر يعتبر بعيدا عنها.

قبل عقدين من الزمان كان يكتفي بمسجد واحد تؤدى فيه الصلوات الخمس والجمعة وبعضها يمكن عدها على الأصابع أما الآن فمع زيادة أعداد السكان وتوسع رقعة البناء فإن عدد المساجد يزيد بكثير عن العدد الملموس بالماضي ليشمل المسجد والجامع والتي تختلف كثيرا عن بعضها البعض في الحجم والطراز المعماري (شكل:٤-٦).

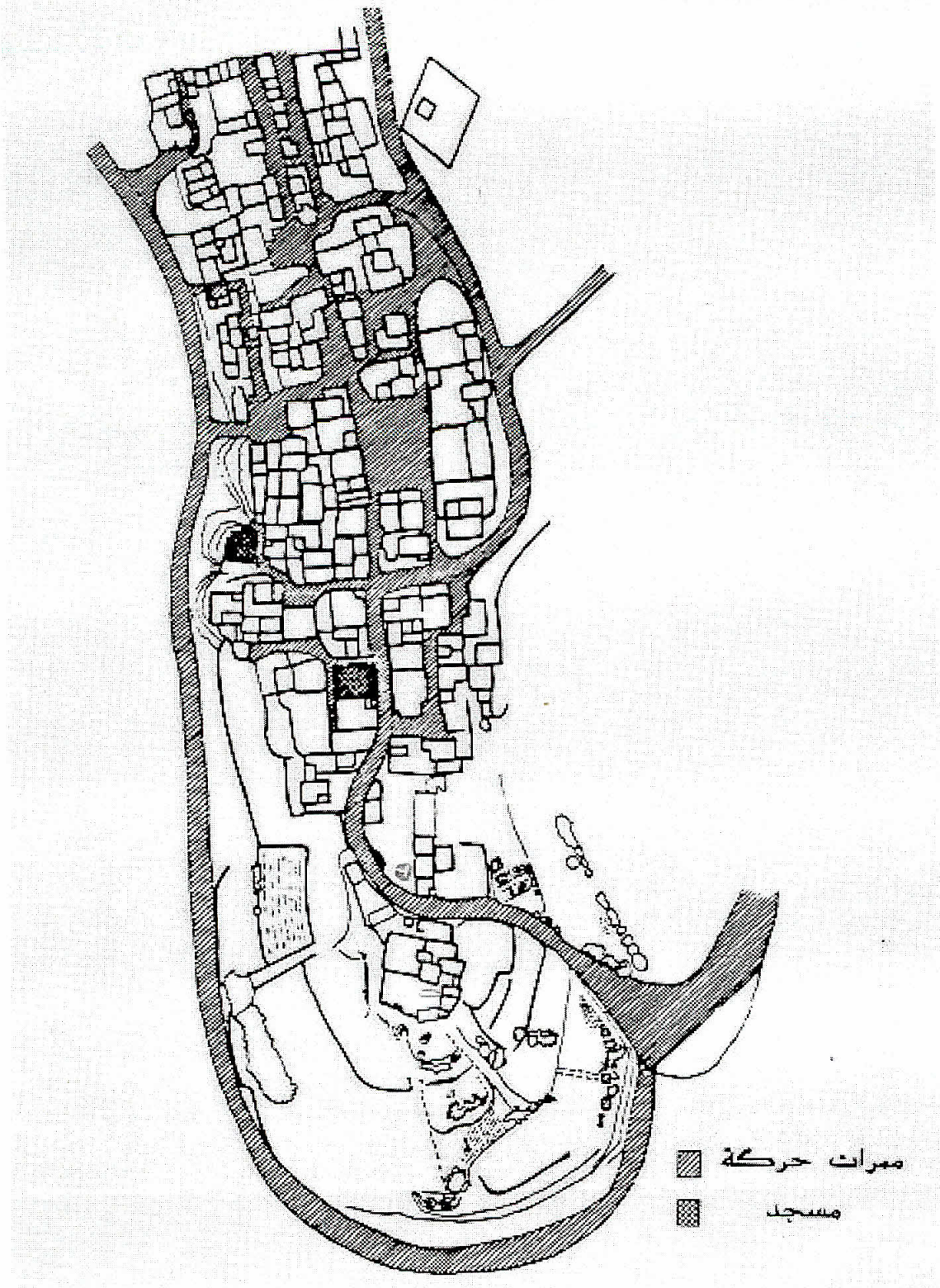
ففي الماضي عندما حاول المجتمع في جبال السروات العيش تحت ظروف سياسية صعبة كان عليه أن يجد بعض الحلول التي تمكنه من التكيف مع تلك الظروف والحد من بعض الصعوبات الناجمة عنها. اعتبر ساكن قرى جبال السروات نتائج هذه المحددات والتحديات محفزات لقدراته الذهنية عندما قام بترجمتها إلى إبداعات عمرانية ومعمارية. فالواقع الملموس عبارة عن حلول عمرانية للكثير من العناصر المهمة والتي ترى بتصميم المسجد كنواة للقرية.

قد يتراءى للمرء أن المناخ هو العامل الطبيعي الوحيد المؤثر في أشكال وأساليب العمارة لكن العامل الجيولوجي أيضا ذو أثر فعال في هذا الصدد، فالتكوين الجيولوجي الذي تغلب عليه الصخور البازلتية في مرتفعات منطقة جنوب غرب المملكة والترسبات الطينية (الخلب) في أودية جبال المنطقة كان لها أكبر الأثر في اعتماد العمارة المحلية عليهما بشكل أساسي، في الوقت الذي نجد فيه أن تكوين الغطاء النباتي الذي تغلب عليه أشجار العرعر والطلح والعتم (الزيتون البري) في الجبال والسهول هي التي دفعت المعماري المحلي هناك إلى استخدام الحجر والطين وفروع وأغصان الأشجار بمهارة فائقة في عمارته وأبنيته المختلفة.

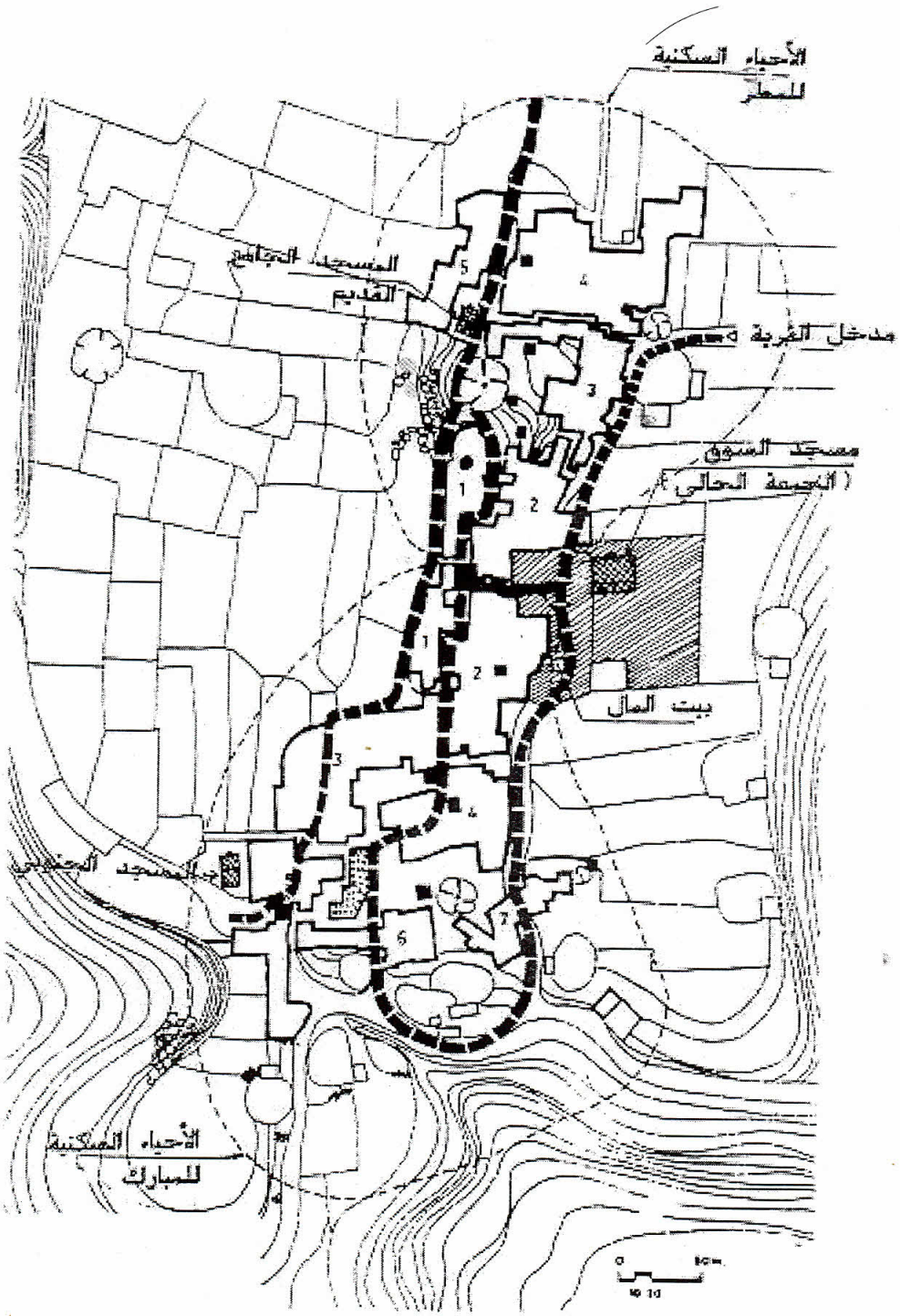
وكانت المساجد في الماضي تبنى من الحجر أو الخلب (الطين) أو بهما معا، كمادة البناء الرئيسة في المنطقة. كان المسجد غالبا عبارة عن قاعة مغلقة خلفها فناء مفتوح، بأحد جدرانه رواق أو رواقين وفي بعض المستوطنات يكتفي للمسجد بصالة مغلقة فقط. والسبب فى كون المسجد يتكون من صالة مغلقة غالبا يلحق بها فناء مفتوح (الصوح) وذلك تكيفا مع الظروف المناخية حيث معدلات نزول الأمطار عالية مما يجعل من الفراغ المغلق أكثر ملاءمة للحماية من الأمطار وخاصة المصحوبة بالرياح. فاعتدال المناخ في الصيف وميله للبرودة في الشتاء يجعل من الإمكان استخدام الصوح كمكان للصلاة في ليل الصيف ونهار الشتاء. تحتل قاعة الصلاة في مساجد قرى مرتفعات السروات الجزء الشمالي وغالبا ما تكون قاعة الصلاة مسقوفة بجذوع شجر العرعر أو الطلح أو العتم (الزيتون البري) والحصير والطين. وغالب المساجد التقليدية كانت بدون مئذنة وإن وجدت المئذنة فهي عبارة عن برج مربع ارتفاعه بضعة أمتار عن سقف المسجد، تكون قاعدته قرب نهاية الدرج المؤدي إلى سطح المسجد. وليس في المئذنة التقليدية سلم من الأرض، وإنما يصعد المؤذن إلى سطح المسجد ومنه إلى المئذنة لرفع الأذان. أما المحراب فهو في الغالب تجويف نصف أسطواني أو مستطيل ذو سقف مسطح. وفي العادة تكون المساجد التي تقام بها صلاة الجمعة كبيرة ويوجد بها منبر عادي متحرك يصعد عليه الإمام عند إلقاء الخطبة وذلك لتوفير صف كامل للمصلين. ويوجد في غالبية المساجد التقليدية أماكن للوضوء والاستحمام وليس هناك حمامات.



شكل ٤: مخطط قرية الملد جنوب مدينة الباحة بمنطقة الباحة يوضح موقعي مسجدي القرية القديم والجديد وعلاقتهما بحركة المشاة والسيارة داخل وحول القرية. تتميز قرية الملد التقليدية بمنطقة الباحة بوجود مسجد واحد. وحيث إن إنشاءها على ربوة يحيط بها وادي عميق من ثلاث جهات والذي عزز من قدرتها الدفاعية لكن بعد استتاب الأمن هجرها أهلها وبنوا مسجدهم الجديد جنوب القرية.



شكل ٥: مخطط قرية العكاس شمال مدينة أبها يوضح موقعي مسجدي القرية وعلاقتهما بحركة المشاة داخل القرية. [١٩]



شكل ٦: مخطط قرية آل الخلف جنوب شرق أبها بمنطقة عسير يوضح تميزها عن غيرها بكثرة المساجد داخل البيئة المبنية حيث يبلغ عددها (٣)، المسجد الجامع (القديم) والذي يقع شمال القرية، والمسجد الجنوبي والمسجد المحلي لسوق الجمعة والذي تحول فيما بعد عام ١٤٠٣هـ إلى مسجد القرية بعد هدم القديم وبناء الجديد من الخرسانة المسلحة. [٢٠]

التصنيف المعماري للمساجد في مرتفعات جنوب غرب المملكة

يُعْنَى هذا الفصل بتصنيف عمارة أنماط المساجد في مرتفعات جنوب غرب المملكة حسب أشكالها العمرانية ومساقطها الأفقية. تصنف المباني عادة حسب وظائفها أو نظامها الإنشائي أو مواد البناء الرئيسية المستخدمة بها.[٢١]

نال تصنيف المساجد في العالم الإسلامي الاهتمام من عدد الباحثين، لكن المساجد في مرتفعات السروات لم تحظ بتصنيف كافٍ ويعود ذلك لصعوبة الوصول إلى مثل تلك المنطقة. ففي التسعينات الهجرية كان الباحث يجد صعوبة بالغة في الوصول إلى أدغال المنطقة نظراً لوعورة مسالك المواصلات فيها، والمحاولات القليلة التي نشرت عن المساجد في هذه المنطقة كانت تعاني من قصور المعلومات.[٢٢] في هذه الدراسة الحالية وجدت من الضروري دراسة الوظائف المتعددة للمسجد وربطها بالشكل المجرد لمساقط المساجد بالإضافة إلى دراسة الأسطح الخارجية لها لكي يمكن التوصل إلى تصنيف مفيد لمساقطها الأفقية وأشكالها العمرانية.

ويمكن تصنيف مساجد المنطقة التقليدية من الناحية المعمارية إلى نوع واحد هو المسجد ذي الصالة المغلقة والصحن ذي الرواق المفتوح. وقد أثر نمط المسجد التقليدي على التصميم الحديث للمساجد، فالمسجد لا يتجاوز كونه عبارة عن القاعة المغلقة المستطيلة. وقد اختفى الصحن المفتوح للمسجد (الصوح) في الكثير من الأنماط الجديدة مع أن متطلبات المسجد التصميمية لم تتغير. فدخول التقنية الحديثة في طرق البناء أدى إلى تغيرات كبيرة حيث أعطى استخدام الخرسانة المسلحة للمصمم حرية كبيرة في التصميم الداخلي، إذ انتفت الحاجة إلى العدد الكبير من الأعمدة، وأمكن التفنن في استخدام الإضاءة الطبيعية القادمة من السقف أو أعلى الجدران.[٢٣] وبدلاً من الخطوط المنحنية والأسطح غير المنتظمة التي تنتج عن طرق البناء التقليدية بالطين أو الحجر، وفرت الخرسانة المسلحة خطوطاً مستقيمة وزوايا قائمة وأسطح ملساء ناعمة كما أن استخدام مواد معمارية جديدة سمح بقدر أكبر من الحرية في استخدام الألوان والزخرفة الهندسية. والقبة هي الأخرى تعد تطوراً جديداً في بناء المساجد في المنطقة، حيث لم تكن مساجد المنطقة تحتوي على قباب ويعود ذلك إلى صعوبة بناء القبة من الطين أو قطع الحجر الغير منتظمة الشكل الذي كان يستعمل كمادة بناء رئيسة في المنطقة. ويمكن اعتبار دخول الخرسانة المسلحة إلى المنطقة في منتصف القرن العشرين بداية وجود بعض القباب وإيذاناً لها بالظهور. وحيث أن بناء القبة يتطلب قدراً من المهارة التقنية والمال، فإن استخدام القبة اقتصر على المساجد الكبيرة. لكن أكثر أجزاء المسجد تأثراً بالتقنية الحديثة هي المنارة. إن بناء منارة مرتفعة يتطلب تناسباً مع حجم المسجد ويتطلب أيضاً تقنية معمارية متوفرة في المنطقة وعلى نطاق واسع. فعلى الرغم من توفر تقنية البناء العالي في المنطقة في الفترة التقليدية وخاصة القصبات والحصون إلا أن معظم المنارات إن وجدت في مساجد المنطقة فإنها عبارة عن بناء منخفض نسبياً للقصبات والحصون. أما في الوقت الحاضر فإن انتشار استخدام الخرسانة المسلحة أدى إلى بناء مآذن عالية الارتفاع.

ليست التقنية الحديثة هي العامل الوحيد الذي حدد معالم المساجد في المنطقة بل إن تنوع الخلفية الثقافية للمصممين الذين يقومون بتصميم المساجد وتعدد جهات التمويل لبناء المساجد كان لهما أثر كبير على تنوع الطرز المعمارية المستخدمة في الوقت الحاضر.

مواد وطرق الإنشاء للمساجد بالمنطقة الجنوبية الغربية

لاحظ الباحث أن هناك اختلافاً في المواد المستخدمة لبناء المساجد فمثلاً : مساجد القرى الواقعة على المرتفعات الجبلية وشمال مدينة أبها يعتمد السكان في بنائها على الأحجار ويقومون بتلبيسها من الداخل والخارج خلاف المساكن والمباني العامة الأخرى مثل القصبات التي غالباً تكون من الحجر البازلتي الأسود أما مساجد الناحية الجنوبية من أبها فإن السكان غالباً ما يعتمدون في بنائها على الأحجار خلاف المباني السكنية والمباني العامة التي غالباً ما تُبْنَى من الطين المعجون "المداميك" والرقف.

وفي بعض الأحيان نجد طرازاً يمزج بين النوعين السابقين. حيث يبنى الجزء الأسفل بارتفاع متر إلى متر ونصف من الحجارة ويكمل الباقي بالمداميك ، والمداميك جمع مدماك وهو عبارة عن رصة من الطين بارتفاع حوالي نصف متر. يشكل المدماك صفاً واحداً من البناء ويمكن في كثيرٍ من الأحيان إضافة طبقة رقيقة من الحجر تسمى الرقف عند بداية بناء المدماك التالي من الخُلب"الطين" فتشكل في نهايتها صفوفاً متراصة من الأسفل إلى الأعلى وتسمى المداميك. أما خارج المسجد فهو غالباً ما يكسي بالجص "القضاض" مما يعطي شكلاً جمالياً رائعاً، وقد تزين ذروة المسجد بزخارف بارزة كما قد يكتب على جدرانه تاريخ بنائه وبعض الآيات القرآنية الكريمة.

يمكن تصنيف النظام الإنشائي لجدران المساجد التقليدية في المنطقة الجنوبية الغربية من المملكة بنظام الجدران الحاملة (wall bearing) والتي تُبْنَى من الطين أو من الحجر أو بهما معاً وذلك على أساسات حجرية متصلة، وهذه يقوم بحفرها البنّاء ومساعدوه بواسطة المعاول. يبدأ العمل بتنظيف الموقع ومن ثم تحديد مواقع الجدران والأعمدة ومن ثم تبدأ أعمال الحفر حتى الوصول إلى الصخر أو الأرض الصلبة. تملأ حفر الأساسات وترص بالأحجار المتدرجة الأحجام حتى الوصول إلى منسوب الأرض. أما الهياكل الإنشائية للأسقف فيمكن تصنيفها بالعمود والعتيب (POST & BEAM) حيث تركز أعمدة دائرية من جذوع الأشجار المحلية مثل العرعر أو العتم (الزيتون البري) أو الطلح والتي تسمى السطاع أو المرزح ثم تركب عليها المعادل وهي عبارة عن جسور خشبية وتركب متعامدة عليها السواري وهي عبارة عن جسور خشبية أقل سماكة من المعادل ويتراوح ارتفاع المسجد مابين ٢,٨٠م الى ٣,-م. ثم تملأ الفراغات بينها برصات من خشب اليراع أو القصب وذلك تمهيداً لفرش بسط من الخصف أو الحلفا لسد أي فراغات يمكن أن تسرب مادة الطين التي تعلوها والتي تسمى الودفة ويشطب المسجد من الداخل والخارج بالقضاض وهي مادة محلية شبه إسمنتية يقوم العمال بدقها وسحقها ومن ثم مسحها على الأسطح الخارجية والداخلية والأرضيات، ولهذه المادة خاصية منع تسرب المياه والرطوبة لداخل المسجد.

بعد زيادة الدخل القومي أصبحت الخرسانة المسلحة هي مادة البناء الرئيسة وظهرت الهياكل الإنشائية بدل الهياكل الخشبية والمنارات العالية والقباب ومواد التشطيب الداخلي والخارجي التي لم تكن موجودة أصلاً في بناء المساجد التقليدية، وأصبح لهذا التغير أكبر الأثر في تنوع الطرز المعمارية لمساجد المنطقة. إضافة لذلك هناك محاولات لتصميم مساجد حديثة تجمع بين التقنية الحديثة وسمات العمارة التقليدية التي كانت شائعة في المنطقة.

عملية البناء بمنطقة عسير تتم بجهود أهل القرية الذاتية وقد يستعينون في بعض الأحيان ببعض القرى المجاورة لهم وذلك إما لجلب الأعمدة والتي تسمى سطاع أو مرزح أو الجسور الخشبية الكبيرة التي تسمى "المعادل "والتي يبلغ

طولها في بعض الأحيان أكثر من ستة أمتار ومحيط دائرتها قرابة المتر، وكذلك لجلب الأخشاب الأصغر حجماً من الجسور السابق ذكرها والتي يسمونها "السواري" وهذه الأخشاب دائرية الشكل أيضاً ويبلغ متوسط طولها من ثلاثة إلى أربعة أمتار، وظيفتها أن ترص باتجاه معاكس مع (المعادل) لتحمل فوقها رصات من قصب اليراع المعاكس لها فى الاتجاه وذلك تمهيداً لفرش شيء من الأبسطة "الخصف" عليها أو شيء من النبات ذي السماكة الصغيرة مثل (الحلفاء) وهو نبات ينمو بكثرة في أودية منطقة عسير، وأهميته ضمان عدم تسرب التربة المعجونة التي توضع فوقها والتي تسمى "الودفة" وهي المرحلة الأخيرة لعملية السقف. وغالباً ما تكون جميع الأخشاب المستخدمة في البناء من أخشاب (العرعر) وهناك بعض أنواع الأخشاب الأخرى مثل الطلح والعتم والأثل وتستعمل غالباً في النواحي الشرقية من المنطقة. ويقوم بصناعة أبواب ونوافذ المساجد أناس متخصصون إما من سكان القرية موضع البناء أو آخرون من قرية أو بلدة أخرى. وفي هذه الحالة يكون ذلك الحرفي ضيفاً على أهالي القرية مدة إقامته بها فيستضيفه كل بيت من بيوت القرية بالتناوب حسب تعداد بيوتها.

تتوزع مهام البناء المتعددة على أفراد القرية فمثلما يقوم الرجل بجلب الحجارة والطين والأخشاب من مقالع الأحجار والمزارع والغابات كذلك تقوم المرأة بدورها الموازي لجهد الرجل وذلك بجلب الماء بواسطة "القربة" وهى عبارة عن وعاء من جلد الغنم يدبغ ويصنع خصيصاً لهذا الغرض. كذلك تقوم المرأة بالتناوب مع جاراتها بعمل وجبات الطعام للعاملين في البناء.

وعند الانتهاء من بناء المسجد تقوم المرأة بعملية الطلاء داخل المسجد بالتربة المعجونة والمعروفة بصلصال الفخار أو بالصهار وهي مثل اللياسة الإسمنتية وبعد ذلك تقوم بزخرفة المسجد بالألوان الزاهية المصنعة محلياً.

العناصر المعمارية

يمكن القول بأن عناصر المسجد الرئيسية في قرى مرتفعات جنوب غرب المملكة تكمن في فراغ منطقة الصلاة المغطاة والمحراب والصوح والميضأة، وقد يكون ببعض المساجد عناصر أخرى مثل المئذنة. (شكل:٧-١٦) ويلحق ببعض مساجد القرى أماكن للدراسة، ومنزالة وهي عبارة عن غرفة للغرباء وعابري السبيل، كما أن بعض المساجد الحديثة تحوي على مكتبة ومقصورة ومصلى نساء ودورات مياه. وقد يضاف سكن للإمام والمؤذن بحيث يلاصق المسجد وتتميز مساجد الجمعة بوجود منبر حيث كان المنبر في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم عبارة عن ثلاث درجات خشبية، لكنه تطور عبر العصور ليصبح منصة مرتفعة يصل إليها الخطيب من خلال سلم خشبي مزخرف. أما المحراب فهو عبارة عن تجويف في وسط الجدار المواجه للقبلة، الغرض منه توضيح اتجاه القبلة.

تحتوي المساجد العادية على عدد من العناصر منها :

أ - الصالة المغطاة وهي غالبا تكون المساحة المطلوبة للصلاة في الأوقات العادية للمسجد فيقوم إنشاؤها على عدد من الأعمدة الواحد منها يسمى "سطاع أو مرزح". أي أن طول المسجد يتراوح من تسعة إلى اثنى عشر مترا وبعرض قدره ستة أمتار تقريبا . فمساحة المساجد في المنطقة تتناسب مع كثافة سكان القرية.

ب – الصحن (الصوح) وهو بطول المسجد وقريبا من عرضه إذ يوازي مساحة المسجد المغطاة تقريبا وغالبا ما يستخدم الصوح كامتداد للصالة المغطاة وخاصة أيام الجمعة أو أثناء نهار الشتاء أو ليل الصيف.

جـ – المغاسل (المطاهر أو مكان الوضوء) وتقام عادة في أقصى الجزء الجنوبي من صحن المسجد وقد تقام خارج الصحن أحيانا وهى عبارة عن أحواض ماء صغيرة يكفى الواحد منها لوضوء شخص واحد ويفصل بين كل حوض والآخر حاجز صغير وتتصل هذه الأحواض بمجرى ماء يغذيها من حوض آخر كبير يقع أعلى منها ويملأ إما من خزان أرضي "بركة" تحت صحن المسجد أو من بئر خاصة به. كما يتم صرف المياه خارج المسجد عبر مجرى موازي لمجرى التغذية إذ إن معظم المساجد القديمة بها آبار عميقة أو خزانات تقع في ركن من صحن المسجد.

د – المنزالة عبارة عن غرفة متوسطة الحجم حرص القائمون على بناء المساجد قديما أن يلحقوها بالمسجد وهذه الغرفة يترل بها المسافرون والحجاج إذا كان المسجد يقع على طريق الحاج وكان الجميع يعتنون دوما بنظافتها والعناية بها كما يقدمون لترلائها الطعام والشراب طيلة إقامتهم. وتستعمل هذه الغرفة في بعض الأحيان لحلقات الدراسة خصوصا إذا ما كان المسجد مليئا بالدارسين. حيث يقوم إمام المسجد بتعليم أبناء القرية القراءة والكتابة على ألواح من الخشب المعد خصيصا لهذا الغرض ويكون التركيز على المواد الدينية وحفظ كتاب الله الكريم.

التصنيف الوظيفي لمساجد جنوب غرب المملكة

يمكن تصنيف المساجد في مرتفعات جنوب غرب المملكة من الناحية الوظيفية إلى ثلاثة أنواع : المساجد المحلية، والمساجد الجامعة ، ومساجد العيد.

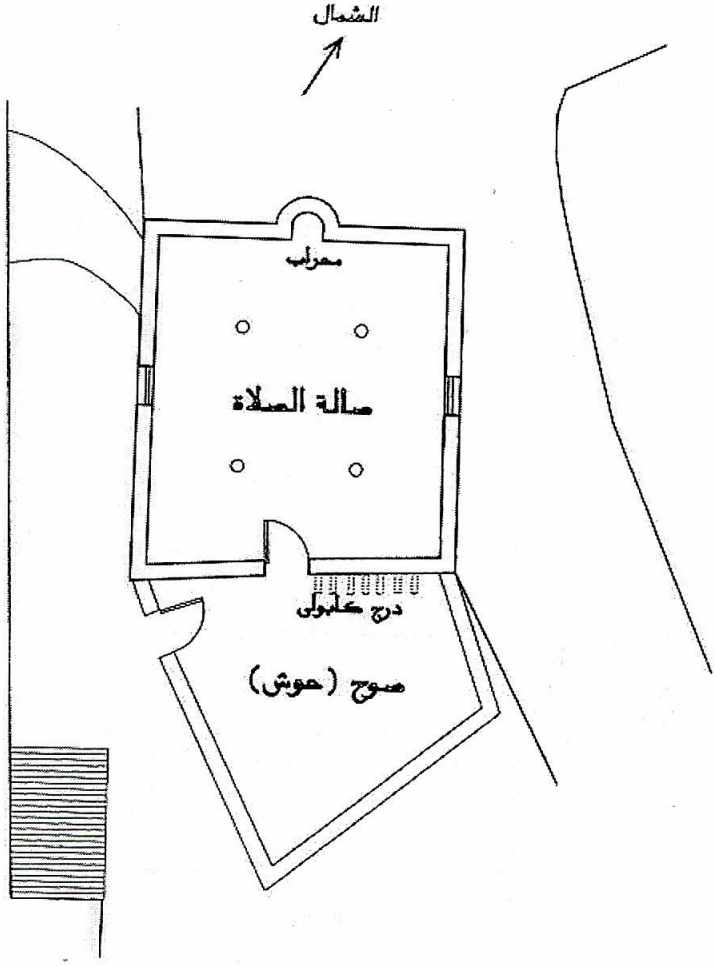
١ – المساجد المحلية : هي نواة تجمعات المساكن أو الخلايا السكنية ويؤدي المسلمون بها الصلوات الخمس، ويحدد تعددها في القرية الواحدة مسافة المشي إلى المسجد المحلي من الحقل أو من المسكن والتي غالبا ما تكون في حدود ١٥٠ إلى ٣٠٠متر(شكل:١٧-١٨).

٢ – المساجد الجامعة : هي نواة تجمعات سكان القرية ككل وغالبا ما تقع داخل مركز الخدمات أو قرب الأسواق الأسبوعية إن وجدت وتمثل العنصر البارز في القرية ويحدد وجودها ٤٠ رجلا فأكثر ولا يحبذ تعدادها(شكل :١٩-٢٢).

٣ – مسجد العيد : هو مكان تجمع جميع سكان القرية أثناء صلاة العيدين أو صلاة الاستسقاء ولا يشترط أن يكون في حدود مسافة المشي، إذ يتم الوصول إليه بالرجل أو الدابة أو بالسيارة ويقع على أطراف القرية والأفضل أن يكون مفتوحا وغير مغطى (شكل : ٢٣).

يمكن تصنيف المساجد في المنطقة الجنوبية الغربية من المملكة من الناحية المعمارية بالمساجد ذات الصالة المغلقة والصحن المركزي مع أروقة ترتكز على صفوف من الأعمدة وهذا النوع من التصنيف لا يدخل ضمن التصنيف السابق للمساجد في العالم الإسلامي.

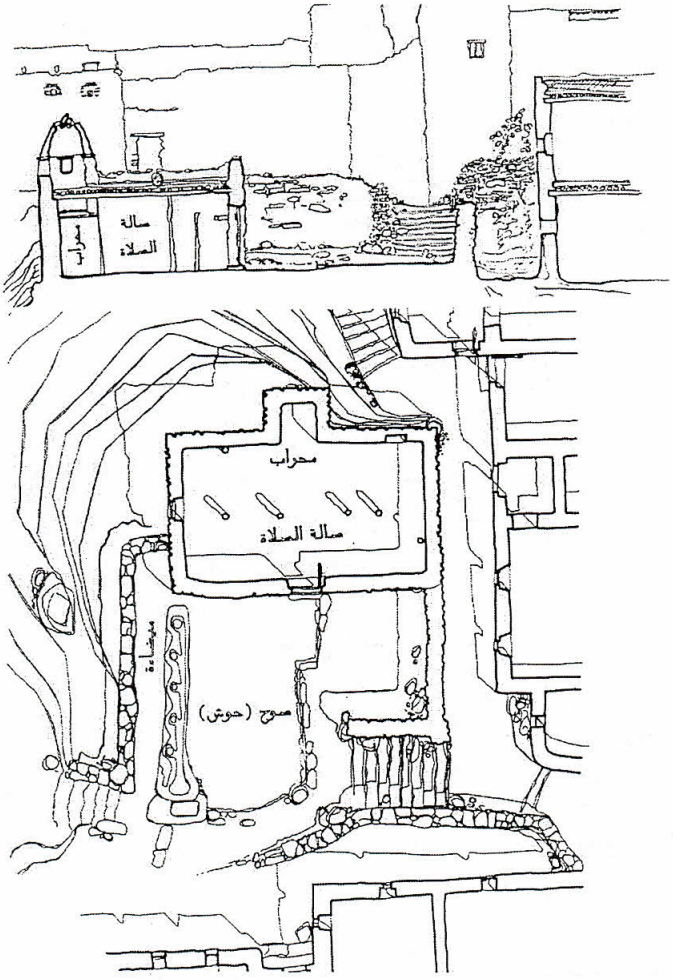
ويشابه هذا التصنيف النوع الذي نراه في المساجد التي بنيت في فترة إسلامية مبكرة والذي هو عبارة عن صحن مركزي مع أروقة ترتكز على صفوف من الأعمدة ، ويمكن تصوره بتحديد قطعة أرض عن طريق إقامة سور يحيط بها وإقامة منطقة مظللة على طول جدار القبلة المشيدة باتجاه مكة المكرمة. وهذه الالتفاتة المتمثلة بتحديد الحيز المكاني وجعله للمسجد المحدد شرعا لذكر الله وعبادته هي الأساس الذي يحول بموجبه الحيز المكاني من شيء دنيوي إلى شيء ديني، وهكذا تنتقل البقعة التي يصلي عليها من بقعة عادية إلى بقعة لها قداستها واحترامها. وهذا له أثر كبير على الأفراد.



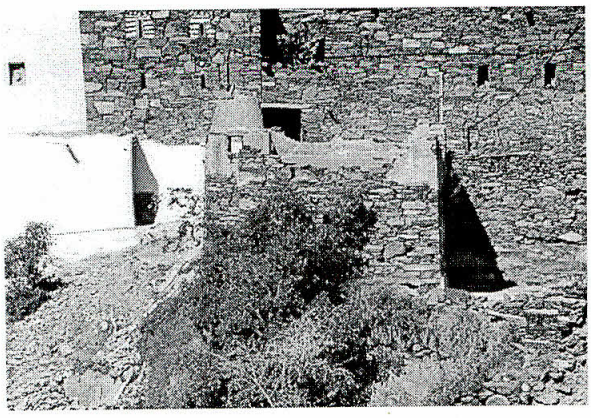
شكل ٧: مخطط مسجد قرية الملد التقليدي بمنطقة الباحة يوضح صالة الصلاة المغلقة والصوح (الحوش المفتوح) والدرج الكابولي المؤدي إلى السطح.



شكل ٨: صورة فوتوغرافية توضح طراز بناء مسجد قرية الملد التقليدية ومدى مواءمة توجيهه للقبلة مع طبوغرافية الموقع الصعبة.

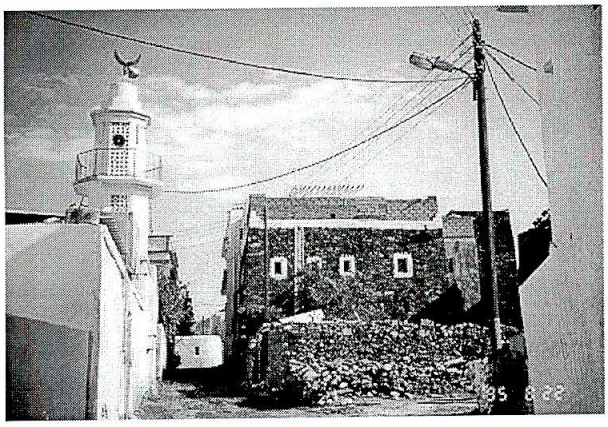


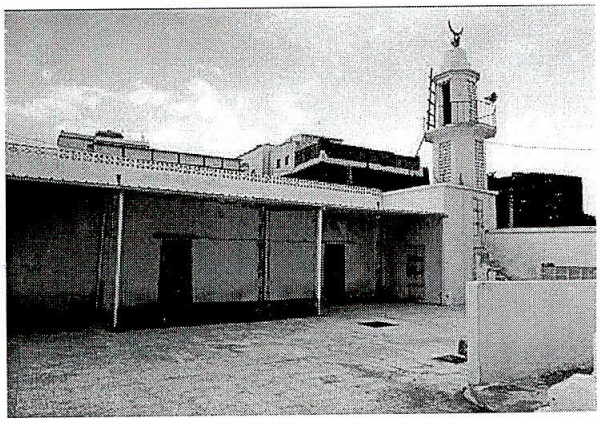
شكل ٩: مخطط مسجد قرية العكاس التقليدي (اليومي) يوضح صالة الصلاة المغلقة والصوح (الحوش المفتوح) والميضأة.



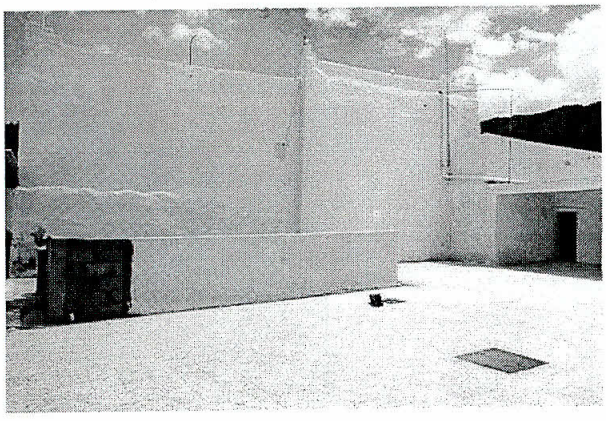


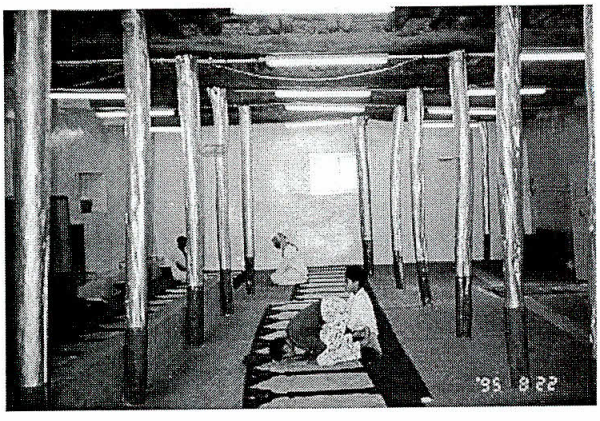
شكل ١٠: مسجد قرية العكاس (الأول) الواقع غرب القرية والذي يتميز بقبة بسيطة فوق محرابه يمكن أن يلحظها الرائي من أسفل وادي العشران غرب القرية.



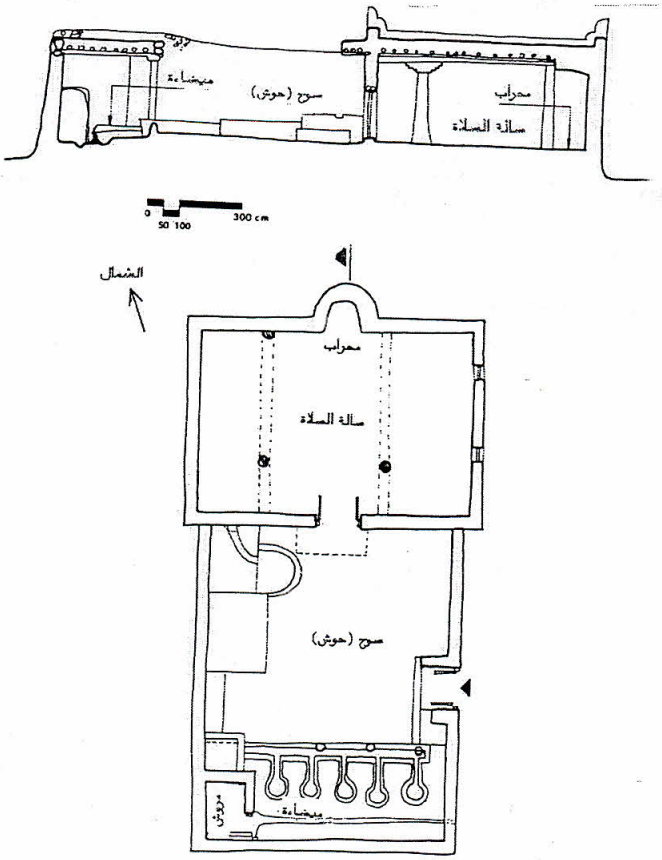


شكل ١١: يتميز المسجد الجامع في قرية العكاس شمال مدينة أبها بمنطقة عسير ببنائه ولونه الأبيض ومئذنته الخرسانية واللذان يتضادان مع بقية المباني المبنية من الحجر ذو اللون البني الداكن.

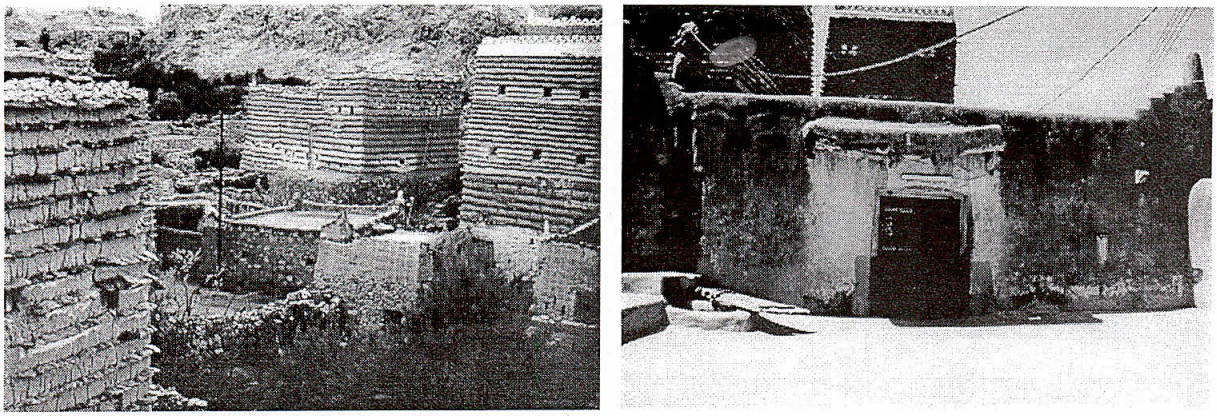




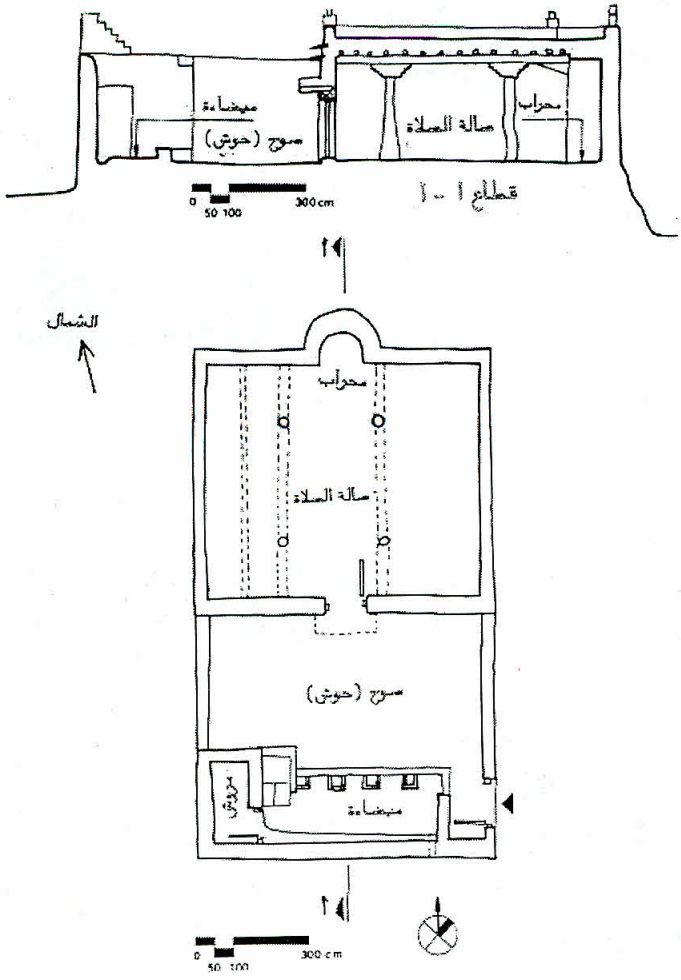
شكل ١٢: صورتان توضحان التصميم الداخلي لمسجد العكاس (الجامع) بأعمدته الخشبية والملونة والفناء الخارجي للمسجد بمنزالته يمين الصورة.



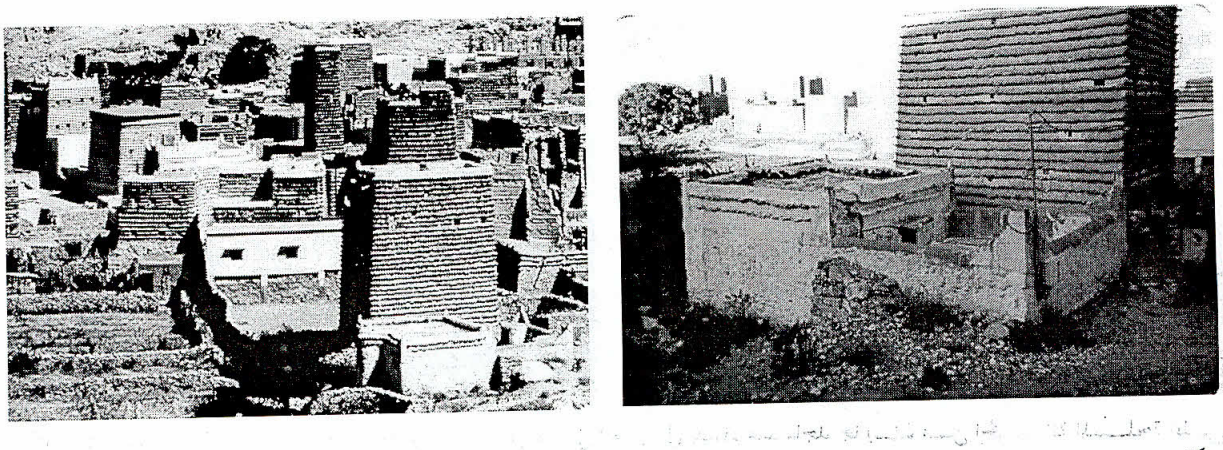
شكل ١٣: مخطط المسجد الجامع القديم لقرية آل الخلف جنوب شرق أبها بمنطقة عسير يوضح عناصر المساجد الثلاثة (الصالة المغلقة، الفناء المفتوح، والميضأة) وعلاقتها ببعضها البعض. [٢٠]



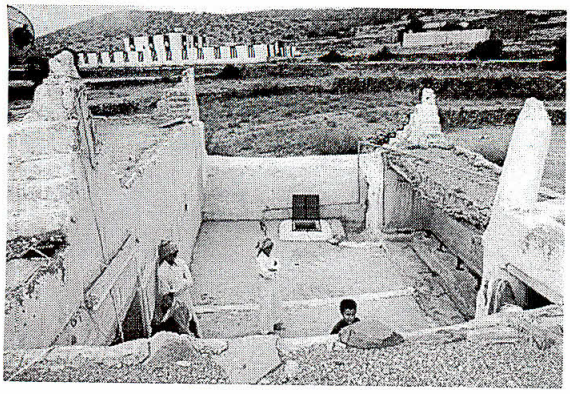
شكل ١٤: صورتان توضحان تميز المسجد الجامع (القديم) لقرية آل الخلف وسط المناطق السكنية المكتظة داخل القرية ومدخل صالة الصلاة المغلقة.



شكل ١٥: مخطط المسجد الجنوبي لقرية آل الخلف يوضح العناصر الثلاثة للمسجد (الصالة المغلقة والفناء المفتوح والميضأة) وعلاقتها ببعضها البعض. [٢٠]

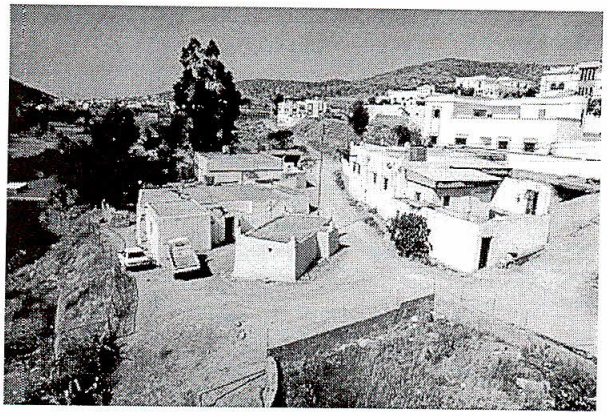


شكل ١٦: المسجد الجنوبي لقرية آل الخلف يتميز للمشاهد النازل من طور (جبل) الخيالة من لونه الأبيض ومحرابه النصف دائري على الرغم من عدم وجود منارة له.



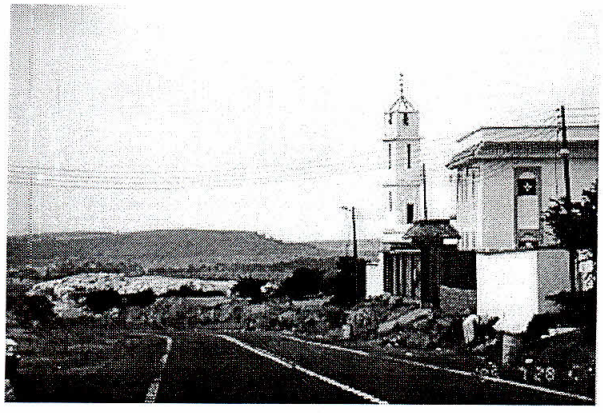


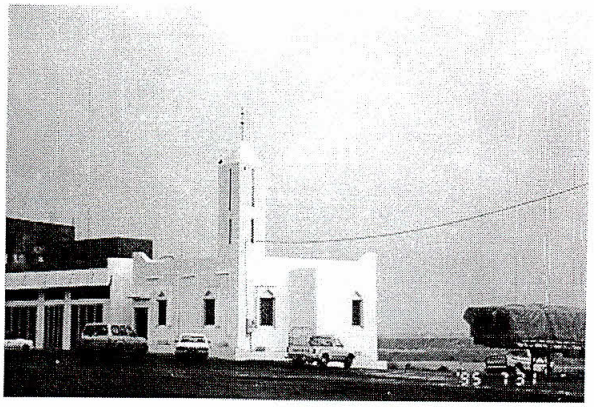
شكل ١٧: تتميز قرى المداد في بلسمر شمال شرق مدينة أبها بمنطقة عسير بوجود مسجد جامع بمنطقة مفتوحة وغير مرتبطة بمباني القرى المحيطة. يتميز مبنى المسجد بجدران غائرة حوالي المتر والنصف بالتربة والمبنية من الحجر والتي كان لها الأثر في إعطاء صورة مميزة لمبنى المسجد.



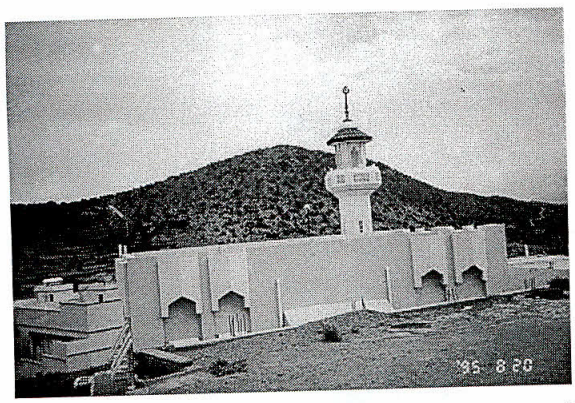


شكل ١٨: يتميز مسجد قرية المذكر في بلسمر شرق أبها بمنطقة عسير بموقع فريد داخل القرية والمزارع والحصون المنتشرة حولها حيث التوجيه للقبلة أعطى تميز بصريا للمسجد على الرغم من افتقار المسجد لفناء خارجي ومكان للوضوء.



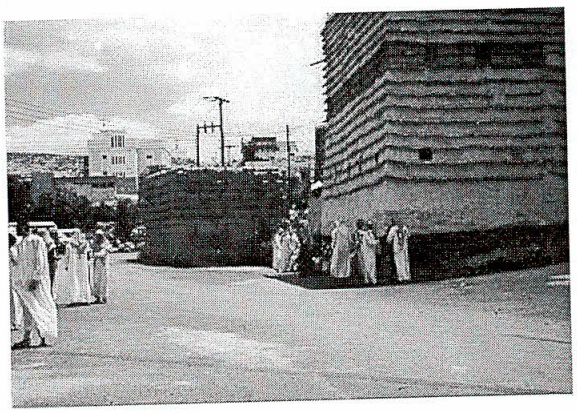


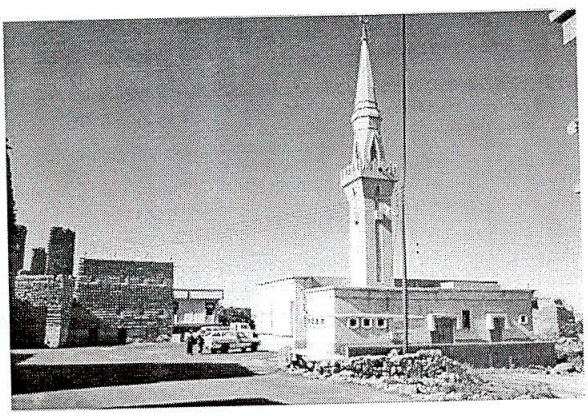
شكل ١٩: بعد ربط المملكة بشبكة الطرق المعبدة ، يتسابق أهل الخير في بناء مساجد جديدة من الخرسانة المسلحة على الطرقات التي تربط بين المدن والقرى.





شكل ٢٠: أخذت غالبية المساجد المحلية الحديثة في قرى المملكة طابعاً جديداً يختلف عن طابع العمارة التقليدية ومثال ذلك المسجد التي توضحه الصورة وقد زين بعدد من الأقواس وأشكال المآذن والتي يمكن للمؤذن الصعود عليها ورفع الأذان أو الاكتفاء بمكبرات الصوت.





شكل ٢١: منظر للمسجد الجامع بقرية آل الخلف والذي تم بناؤه من الخرسانة المسلحة في عام ١٤٠٣هـ على موقع سوق القرية بساحة البسطة (شرق القرية) ويلاحظ أن تجمع المصلين بعد الصلاة في ساحة البسطة والشروع بتناول أطراف الحديث أصبح أمراً مألوفاً.





شكل ٢٢: المسجد الجامع الجديد لقرية الملد جنوب الباحة في منطقة الباحة. يلاحظ استخدام المعماري الخرسانة المسلحة في تشييد المسجد ومئذنته واللون الأبيض المتضاد مع لون القرية البني الداكن وذلك لإعطاء المسجد صورة تسهل من عملية الاستدلال عليه.



شكل ٢٣: يتميز موقع مسجد العيد لقرية العكاس وغيرها من قرى ومدن المملكة بكونه خارج البناء وهو لا يتعدى فضاءاً مفتوحاً محدداً تحديداً بسيطاً مما يسمح بالإبقاء على موقع المسجد نظيفاً لتأدية صلاة العيد والاستسقاء.

والأهمية الرمزية للصحن في احتواء النظام الطبيعي ضمن منطقة الصلاة تعززه وظيفته المفيدة في توفير مساحة إضافية لصلاة الجمعة. والاتجاه الأفقي نحو مكة المكرمة تبرزه الأروقة الكثيرة المقنطرة الواقعة على جانبي جدار القبلة الذي يستقبل محرابه مكة المكرمة.

المساجد عامة على الرغم من تاريخها الطويل ، وتعدد أشكالها لم تخرج في تكوينها العام عن هيكل مسجد رسول الله ﷺ في المدينة المنورة ، فلا غرابة أن المعماريين المسلمين تفننوا في ابتداع أشكال المساجد وصحونها ومحاريبها ومنابرها وأروقتها ومآذنها وأماكن الطهارة حولها بأن أضافوا عنصرين رئيسين هما المحراب و المئذنة إلى عمارة المساجد اللاحقة لمسجد الرسول صلي الله عليه وآله وسلم. حيث يأخذ المسجد شكلاً طويلاً متعامداً على اتجاه القبلة، لإطالة صفوف المصلين حتى يحظى أكبر عدد منهم بالصفوف الأولى، لما في ذلك من زيادة الأجر والثواب عند الله.

تكون هناك مسافة كافية للسجود بين الصف والآخر، مع استواء الصفوف ومحاذاة الأقدام. لذلك فمن المستحسن وضع علامات أو خطوط تساعد المصلين على ضبط ذلك. وحيث أن الإسلام يحث أيضاً على التصاق الكتف بالكتف وعدم ترك الفراغات بين المصلين وملء الصف الأول، لذلك فإنه عند احتساب سعة المسجد فإنها تحسب على أساس أن العرض الذي يحتاجه المسلم وهو واقف حوالي "٥٠سم" ثم المسافة التي يحتاجها أمامه للسجود تقدر بحوالي "١٢٠سم" وهذا يعني أن الشخص يحتاج لمساحة مقدارها "٠,٦م٢" (أو ٦٠سم).

إشكالية تأصيل عمارة المساجد الحديثة

تأسست العمارة الحديثة في بلاد غير إسلامية على مبدأ العلمنة الذي يعنى بفصل الدين عن الدولة والتي على ضوئها تم تأسيس المبادئ المعمارية للقرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، والتي أكدت على "هجر الطابع المعماري ذي الاتصال التاريخي" ومن خصائص العمارة الحديثة أن الجمالية المولدة خالية من التزيينات والمفردات المعمارية التقليدية.[٢٤]

توجد انتقادات كثيرة للعمارة الحديثة في المملكة منها أنها جاءت بأنماط جديدة للعمارة وأنها من إرهاصات حضارة غريبة عن المنطقة وهي بذلك تتعارض مع مفاهيم العمارة المحلية ولا تلائم البيئة في المملكة .[٢٥]

جاءت التغييرات في أنماط عمارة المساجد ووظائفها في طور قيام الدولة وتأسيسها وتنظيماتها، وما غدت عليه من قيام المؤسسات المتخصصة في كل جانب من جوانب الحياة. فأصبح هناك دور الحكم والقضاء والمدارس والجامعات ومراكز البحث والعلوم والوزارات والمصالح الحكومية المختلفة التي أصبحت تقوم بالدور الأساسي لما كان يقوم به المسجد في الماضي، ولكن مازالت رسالة المسجد قائمة لأنه المكان الذي يشعر فيه الإنسان بصلته بربه، وهو الحصن الحصين لمواجهة الأفكار والتيارات المنحرفة التي تعصف بالمجتمعات الإسلامية لما يقوم به، من خلال منابره في اجتماع المسلمين كل جمعة - من نشر للثقافة الإسلامية، وتصحيح للعقيدة، وتوعية وتوجيه للمجتمع للوجهة الصحيحة في إطار من التعاليم الإسلامية الخالدة التي تحفظ للمجتمع المسلم بناءه الاجتماعي السليم.

من خلال هذه التغيرات استلزم التوسع في المنطلقات الأساسية التي تحدد عناصر تكوين المساجد ومعايير تخطيطها الأمر الذي استلزم أن يكون من تشكيلات وتنظيمات الدولة وجود جهاز مختص مهمته رعاية المساجد والقيام على شؤونها فكانت وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية (وزارة الحج والأوقاف سابقاً) هي الجهة المسؤولة عن إعمار وتجهيز وإدارة وصيانة بيوت الله في مختلف مناطق المملكة.

كما أن مهمة وزارة الشؤون البلدية والقروية وضع الخطط والمعايير التخطيطية لتغطية حاجة كافة مناطق ومدن وقرى المملكة من المساجد والجوامع ومصليات الأعياد.[٢٦] فمهمة هاتين الوزارتين هي تأصيل العمارة الإسلامية ذات الطابع المحلي للمساجد وذلك بالحفاظ على تطبيق مفاهيم عمارة الرسول ﷺ من خلال وضع المعايير

التخطيطية لمواقع المساجد والمعايير التصميمية والإجراءات لتجديد عمارتها، وكذلك وضع الخطط التي تهدف لإقامة الجوامع والمساجد النموذجية.

فمنذ أكثر من عقدين من الزمن شهدت المملكة العربية السعودية توسعاً عمرانياً كبيراً، وذلك عندما بدأت في تنفيذ خطط التنمية عام (١٣٩٥ - ١٩٧٥م). واكب هذا التوسع العمراني استخدام أنماط معمارية مختلفة لعمارة المباني البعض منها صمم من قبل مصممين غرباء عن البيئة ويمكن اعتبار هذه الأنماط غير متجانسة مع البيئة المحلية، مما أفقد الكثير من الأحياء الجديدة شكلها العمراني المميز. وهذا ما يدل على أن انتشار العمارة الحديثة في المملكة ما هو إلا واحدة من ظواهر الانتقال من مجتمع ريفي إلى مجتمع حضري صناعي.[٢٥]

يمثل تصميم البيت في مرتفعات جنوب غرب المملكة بيئة للجدل الذي يتجاذب حول تأصيل العمارة التقليدية بمفهومياتها الحديثة وإشكاليتها في العصر الحديث. حيث يحظى التصميم المعماري للمسجد بأهميته على المستوى الشعبي والرسمي، منها ما تمتد جذوره إلى القديم والآخر إلى الجديد. ويمكن القول بأن هناك ثلاثة اتجاهات متناقضة لتصميم المسجد.

الأول باسم "الأصالة" وحتمية العودة إلى العمارة التقليدية بأصولها وقيمها ومحاولة الاستفادة منها وتطبيقها في عمارة المسجد الحديثة. حيث تغلب النوازع الرومانسية على معتنقي هذا الاتجاه، فهم مشدودون إلى القديم بكل ما يحمله هذا القديم من روح التاريخ وأصالة الحضارة، فهو موروث اجتماعي كما أنه تراث حضاري نملكه ويجب أن نحافظ عليه ونضيف إليه للأجيال القادمة.

ويقابل هذا التوجه اتجاه آخر باسم "الحداثة" يدعو الى التحرر من القديم ، والواقعية المعمارية هنا تحتم النظرة المستقبلية واستحالة العودة إلى الماضي الذي نحترمه ، ولكن نتخطاه ، ويعزز هذا الاتجاه الدعوة إلى التطور في إطار المتغيرات الحادثة في العالم من حولنا وسرعة التطور التقني على كافة المستويات، وفي المجالات الإنشائية بشكل خاص، التي قفزت قفزات سريعة في تطورها وتقديمها إلى المهندس المعماري أنماطا وتقنيات حديثة لم يعرفها المهندس المعماري القديم، ولذلك يدعو هذا الاتجاه إلى أن يتحمل معماري اليوم مسئوليته في تقديم وإبداع الجديد، كما قدم معماري الأمس، دون أن يتمسك بما قدمه السابقون.

أما الاتجاه الوسط فيعتمد على الالتزام بالثوابت الشرعية التي حددها الرسول ﷺ ويلتزم بها العلماء العاملون. يركز هذا الاتجاه على العمل على إيجاد الرابطة بين الماضي والحاضر والمستقبل في التكوين العمراني العام وفي خصائص العمارة باستغلال المتغيرات المباحة مثل التقنيات الحديثة والأساليب المحلية لمعالجة المشاكل والنظر إلى تراثنا بالتحليل العلمي والتقويم الموضوعي وأن لا يسقط هذا التراث العريق من حساباتنا في ميدان النشاط المعماري وأن نعطيه حقه في الحياة والتطور وبالتالي الحكم إن كان هذا التراث لا يصلح للتطور فنسقطه من حساباتنا عن وعي وإدراك، أو نتمسك به إذا كان قابلا للتطوير واستخلاص ما في هذا التراث من قيم بناءة فكريا وخلقيا واجتماعيا واقتصاديا وهي قيم حية لا ترتبط بالماضي وحده وبهذا نزيل الحيرة التي تسود الوسط الهندسي المعماري فيما يتعلق بهذا الميراث(شكل:٢٤). ونتوجه للإبداع الذي يحمي مكاسبنا ويكسب عمارتنا الحديثة هويتها وانتماءها.

الأمثلة الكثيرة التي شملها البحث تمثل وجها لعمارة المساجد بالمنطقة وتبرهن على أن العمران الإسلامي، يعرف بقيمه المطروحة، لا بالصيغة المفروضة، والجغرافية لعبت دورا كبيرا في تحديد طراز العمران في هذه المنطقة.

وهذا يحتم ضرورة شمولية الثقافة للمهني المعماري، فالمعماري يجب أن لا يبقى معزولا بل يجب أن يركز عنايته على معرفة البيئة التي يتعامل معها إضافة إلى الاستفادة من العلوم الشرعية والاجتماعية والطبيعية والتكنولوجية.

فهناك المزيد من المعرفة، وعليه التحري عند الجديد من المتغيرات التي ستحصل وتضمنها بالتصميم وذلك للإجابة على الأسئلة الكثيرة التي تطرحها هذه المتغيرات، في زمن الانتقال من التقنيات اليدوية إلى الآلية. ولا يخفى علينا أن المقومات الملموسة للمكان لها تأثيرها الواضح في حياة الناس، وأن هناك تداخلا مستمرا وتفعلا غير منقطع بين الأنشطة الإنسانية والتقنية داخل الإطار المكاني الذي يحتويها.

إن الفكر الإسلامي لا يفرض صيغة واحدة في التعامل مع النمط في العمارة، فهو لا يفرض صورا ونماذج دون غيرها، بل يفرض الثوابت التي تبني القيم والقواعد الدينية، التي تطلق العنان للقدرات المبدعة، وبهذا تتنوع النماذج والصور وتختلف التفاصيل. إن مهام العمران لا تحدد ولا تقتصر على المهنيين فقط في مجال اختصاصهم العمراني، فعندما تقتصر ثقافة المهندس على المهنة فقط، سيكون معزولا عن المجالات الأخرى. وشأن ذلك يحصل في مشاريع التنمية ومناهج التخطيط أيضا، حيث تكون المهمة الاقتصادية سطحية، بسبب انعزالها عن الثقافة، التي تخص الناس كما يخصها الإقتصاد، وهذا ما ينقص التكامل بين مجالات الحياة المختلفة والمترابطة.

إن الانفتاح نحو الانتقال إلى العصر الحديث بتقنياته المختلفة لا يبعدنا عن تلك القيم والقواعد بل إن توظيف معطيات الوسائل الجديدة، لتحقيق أهداف وتصورات المسلم سوف تساهم في إبداع أنماط جديدة لعمارة المساجد في هذه المنطقة المميزة .وضمن الوحدة الجغرافية تتحقق المتغيرات المحلية في المواقع السهلية والجبلية والبادية، وفي المستويات المختلفة المدنية منها والريفية حتى تظهر سمات خاصة وتفاصيل تنتمي إلى مكان وزمان معينين.

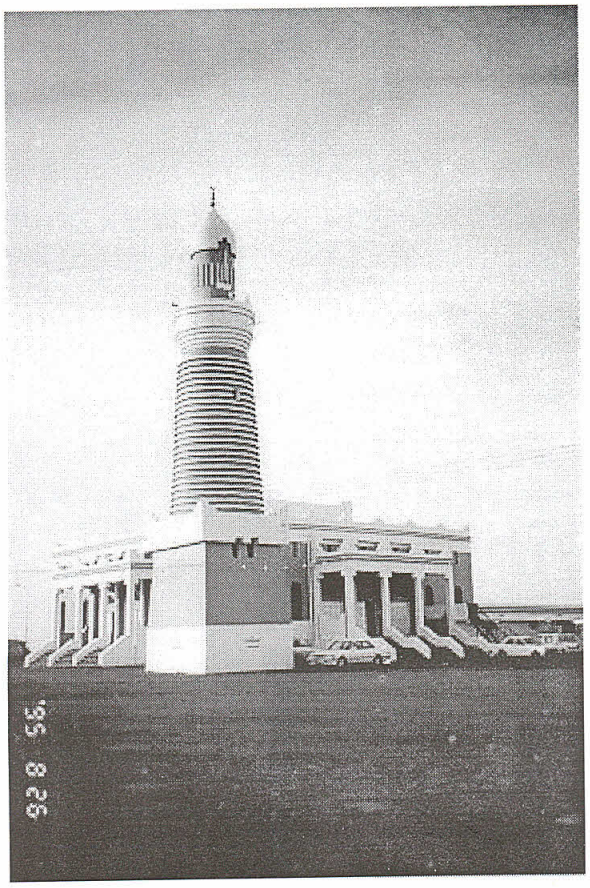
فدراسة العمارة التقليدية بهذه المنطقة مهدت للبحث عن الخيوط المعمارية التي تربط الماضي بالحاضر لاستنباط المفردات المعمارية التي تتفاعل مع المبنى المعاصر، وليس للبحث عن الرمزية المقيدة لانطلاق الفكر المعماري، لذلك فإن التفاعل مع كل جديد في عالم البناء مطلوب طالما لا يتعارض ذلك مع تعاليم الإسلام وقيمه وفي نفس الوقت يتناسب مع المقومات الاقتصادية والبيئية والاجتماعية لمجتمع المسلمين المحدد بالمكان والزمان.

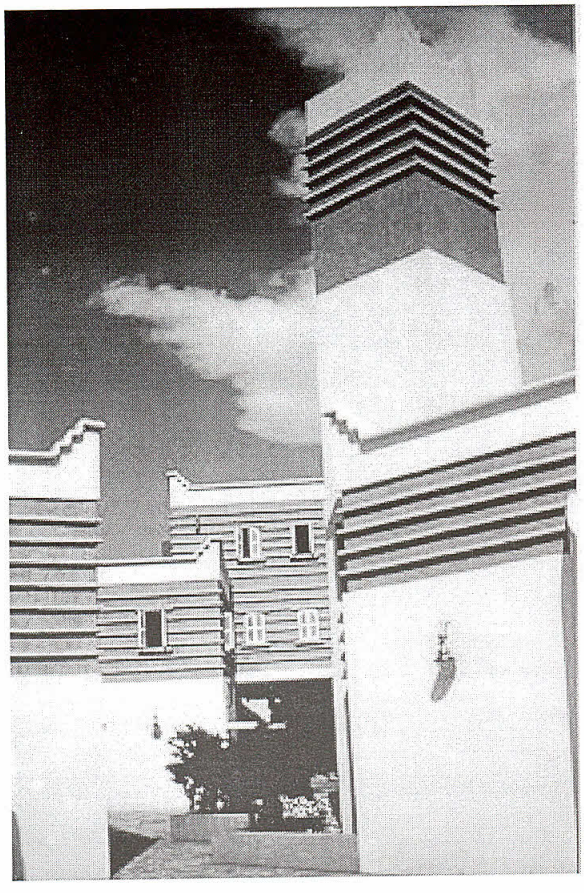
عندئذ يكون المضمون في تصميم المسجد هو تهيئة الفراغ المعماري الذي يساعد على الخشوع والرهبة للمصلي وهو واقف بين يدي الله سبحانه وتعالى، وليس الفراغ الذي يبعث في النفس الانبهار والانشغال عن ذكر الله، الأمر الذي يتعارض مع كثير من المبادئ التصميمة للكثير من المساجد التراثية. فالإسلام يدعو إلى بناء المسجد بناءا ليس فيه مفاخرة أو تزيين بل يكون الغاية من بناء المساجد هي درء الحر والبرد عن المتعبدين في بيوت الله عز وجل.

فعندما يجعل جدار القبلة عاديا لا يشغل المصلي بزينة مفرطة أو نوافذ في مستوى النظر، لأن النوافذ التي في مستوى النظر تسبب الوهج للعين وعندما يراعى في ارتفاع سقف المسجد ألا يتجاوز الارتفاع الضروري فمعنى ذلك أنه اقتداء بمسجد الرسول ﷺ.

ولا يعني عند عرض المضمون الإسلامي في تصميم المباني إغفال جانب التشكيل الداخلي والخارجي المميز للمبنى، لذلك كان البحث عن المضمون هو أساس البحث عن الشكل، وليس العكس، كما تدعو النظرية المعمارية الغربية ويعمل بها المعماريون الغربيون، ثم يأتي بعد ذلك البحث عن القيم الجمالية التي تؤكد القيم والتعاليم الإسلامية.

يشكل المسجد في مضمونه أيضا نواة المجتمع، يلتحم مع بنائه وعمرانه. ويتكامل مع خدماته الاجتماعية والتعليمية والثقافية والصحية، فهو جزء من كل مترابط وليس بناءا منفردا أو منعزلا. ولذلك كانت المساجد تبنى وسط البيوت أو بمعنى أصح المسجد أولا ثم تلتف من حوله البيوت ليسمعوا النداء وبالتالي يلبونه، وبخاصة أنه لم يكن هناك مكبرات صوت، ومعلوم وجوب إقامة صلاة الجمعة وصلاة الجماعة واجبة أيضا في المساجد.





شكل ٢٤: محاولة لربط الشكل الظاهري للمسجد بالتراث المحلي لمنطقة عسير نراها واضحة في استخدام محاكاة للرقف والألوان المحلية في مسجدي قرية المفتاحة للفنانين التشكيليين بأبها وقرية آل يزيد جنوب أبها.

قد يرى بعض المعماريين أن عناصر العمارة التراثية وقيمها التشكيلية تؤكد الجانب الاجتماعي والروحي لوظيفة المسجد، كما تعبر عن قدسية المكان، مع أنه لم يكن لهذه العناصر أو هذه القيم أي أثر في بناء المساجد في صدر الإسلام. فقدسية المكان تتحقق للمسجد من حين بنائه، وإقامة الصلوات الخمس فيه، وينضاف إلى ذلك إضفاء عوامل الطهارة والهدوء وسلامة الإنشاء عليه، مع النقاء والصفاء الشكلي الذي يتلاءم مع نقاء وصفاء النفس الذي يجب أن يتحلى به المسلم عند دخوله بيتا من بيوت الله. فقدسية المكان يجب أن يكون عليه عند دخوله المسجد وتقديمه رجله اليمنى وقدسية المسجد تتأكد بعلاقة الإنسان بربه أكثر مما تتأكد بعلاقته بالمكان. وهنا تصبح القيم التشكيلية والعناصر المعمارية عوامل مكملة في إظهار قدسية المكان، وليست بالضرورة مقومات أساسية لهذه القدسية.

وما دام المسجد من أهم المؤسسات الإسلامية فلابد أن تتكامل الخدمات فيه بحيث يصبح المسجد مكان إشعاع بكل ما ينفع الناس وبحيث يحقق على مستوى الحي الخدمات الاجتماعية اللازمة لأبناء الحي الذي يقع فيه المسجد مهما كانت مستوياتهم ونوعياتهم لأن القائمين على المسجد ما داموا يرفعون صوت الإسلام منه فلابد أن يهتموا بكل جانب من جوانب حياة الناس وليس كالمسجد مكان يمكن للكلمة التي تخرج منه أن تنفذ إلى قلوب الناس وما دام الإسلام دين الحياة بكل أبعادها فلابد أن يكون للمسجد وضع الصدارة في توجه المسلمين ولابد للإسلام من موقف من كل أمر من الأمور التي تتصل بحياة المسلمين.

الاستنتاج

تعدى الاهتمام بالتراث المعماري حدود الدراسات والأبحاث الأكاديمية إلى الاهتمام الرسمي والشعبي، حيث يحاول المصممون المعماريون تحديد عناصر الجمال والقوة التي لازالت ماثلة أمام أعيننا في النماذج المعمارية الكبرى التي يحويها تاريخنا الإسلامي العريق ، وربطها وظيفيا وجماليا بالفن المعماري الحديث في محاولة لتطوير الحس المعماري في مدننا الإسلامية باستخدام وسائل التقنية الجديدة في ثوب معماري إسلامي جديد وقد أخذت بعض المكاتب الهندسية بالمملكة على عاتقها هذه المهمة، وبدأت تبرز بالفعل نماذج معمارية تحوي الكثير من عناصر المتانة والجمال والخصوصية معا، مما يبشر بميلاد حركة عمرانية جديدة ذات ملامح معمارية محلية تعيد للمدينة العربية شخصيتها المميزة، التي كادت أن تفقدها وهذا الاتجاه يلتزم بالثوابت ويعتمد على المتغيرات في إبراز هوية العمارة. إن دراسة الأنماط الأصلية لعمارة المساجد في مرتفعات جنوب غرب المملكة العربية السعودية وما يرتبط بها من عناصر تخطيطية ومعمارية وفنية وزخرفية ومدى تأثرها بمسجد الرسول ﷺ تعتبر مسألة حيوية وضرورية في الوقت الحالي. وعند بدء العمل في بناء المسجد، جامعا كان أو غير جامع، فإن أول شيء يجب مراعاته جيدا هو اتجاه القبلة والذي له أكبر الأثر في تشكيل مسارات الحركة واتجاه المباني أيضا.

وجد أن التباين في أنماط عمارة المساجد في مرتفعات جنوب غرب المملكة برز نتيجة للتطور التاريخي لهذه المباني الثقافية والدينية. فالمسجد منذ القدم له أهمية معنوية في عمارة وتخطيط القرى في محيطها المعزول، غير أن التراجع المستمر للعمارة المحلية التقليدية أمام المد المعماري القادم من الغرب قد أوهن ذلك التأثير. لابد من نظرة جديدة

تدعو المعماريين والباحثين في مجال التخطيط والعمارة إلى التمهل وإعادة النظر في موقفهم من تضمين التراث المعماري عند تصميم المباني وخاصة المساجد في البيئة العمرانية إذ لا يقتصر الأمر على مجرد الدراسة التسجيلية، بهدف توثيق ذلك التراث الغني المعرض للضياع مع الزمن، بل السعي إلى استيعابه وفهمه وإدراك المعاني الكامنة في تراكيبه وأشكاله. من هنا تأتي أهمية هذا البحث الذي يتناول بالتحليل العناصر التخطيطية والمعمارية والفنية والزخرفية الموجودة في أنماط عمارة المساجد التقليدية في مرتفعات جنوب غرب المملكة العربية السعودية، وذلك من أجل محاولة الاستفادة منها والوصول إلى صياغة معاصرة لها في مواجهة التيارات المعمارية والعمرانية الجارفة والوافدة.

وضحت الدراسة أن التواضع الذي يميز تصميم المساجد المحلية يجب ألا يُتخلّى عنه بحجة السرعة لإنشاء مساجد جديدة بعمارة حديثة مستوردة. كما توصي الدراسة بأنه يجب على معماري ومخططي اليوم مراعاة التقاليد التي تسهم في عمارة المساجد وتفي بمتطلبات الجماعة وظيفياً وروحياً.

المراجع

[١] Al-Mansouri, M.J. *The Role of the Friday Mosque (Al-Jami) in Islamic Cities*. Unpublished Ph.D. Dissertation, University of Illinois, Urbana-Champaign, USA, 1991.

[٢] إبراهيم، عبد الباقي. *التراث الحضاري في المدينة العربية المعاصرة*. الكويت: مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٨م.

[٣] ماجد، إبراهيم عيسى. "المتغيرات في عمارة المسلمين المعاصرة وثوابتها." *المهندس*، يوليو - ديسمبر، ١٩٨٥م، ص.ص.٢٧-٣١.

[٤] Cresswell, KAC. *Early Muslim Architecture I&II*. New York: Hacker Art Books, 1979.

[٥] والي، طارق. *نهج الواحد في عمارة المساجد*. المنامة: بيت القرآن، ١٩٩٣م.

[٦] أبا الخيل، عبد العزيز. "الكتاب والسنة أساس تأويل عمارة البيت العربي والمسجد." *مجلة البناء*، السنة الثامنة، العدد ٤٣، محرم - صفر ، ١٤٠٩هـ ، ص . ص ١٠-١٩.

[٧] Bisheh, Ghazi Izzeddin. *The Mosque of the Prophet at Madinah Throughout the First Century A.H. with Special Emphasis on the Umayad Mosque*. Ph.D. Dissertation, the University of Michigan, 1979.

[٨] Hutt, Anthony. "Symbol of Islam: The Minaret." UR, No. 2, 1980, pp. 9-12.

[٩] الرافعي، محمد راشد. "مكان المسجد في المدينة العربية." في كتاب : *تخطيط المدن في العالم العربي (مراجعة مورو بيرجر)، المنظمة العالمية لحرية الثقافة وجمعية المهندسين المصرية*، القاهرة ، ١٩٦٣م ، ص.ص. ١٢٥-١٣١.

[١٠] Haider, Gulzar. "Faith is the Architect: Reflections on the Mosque." *Arch. Comport/Arch. & Behav.*, Vol. 11, No. 3-4, 1996, pp. 243-248.

[١١] عبد الفتاح، أحمد كمال. "المسجد في العالم الإسلامي: استعراض للنماذج التاريخية والحديثة للمساجد في العالم

الإسلامي." *المعمار (المجلة المعمارية لجمعية المهندسين المصرية) السنة الثالثة*، العددان التاسع والعاشر، ١٩٨٨م، ص.ص. ٥٤-٦٣.

[١٢] الأسد، محمد. "المسجد الحديث : تراث واقتباس." *مجلة البناء*، السنة الثانية عشرة، العدد ٧٠، رجب - شعبان، ١٤١٣هـ، ص . ص .٥٥- ٥٩.

[١٣] الوكيل، عبد الواحد. "التصميم المعماري للمساجد." *مجلة البناء*، السنة السادسة، العدد ٣٤، إبريل - مايو، ١٩٨٧م ، ص. ص.٢٢-٢٧.

[١٤] الشاهين، إبراهيم ماجد. "التطور العمراني في دول الخليج العربية." مطبعة السلام، الكويت، ١٩٨٧م.

[١٥] الحسن ، عصمت محمد. "نمط توزيع المساجد في مدينة الرياض للفترة من ١٩٦٨إلى ١٩٨٩م من الصور الجوية." *مجلة جامعة الملك سعود (العلوم الهندسية)*, المجلد ٨ العدد ٢، ١٤١٦هـ، ص.ص. ٢٥- ٣٨.

[١٦] الجار لله، احمد جار الله والحريقي، فهد. "الأنماط التخطيطية لتوزيع المساجد في مدينة إسلامية معاصرة. الدمام - المملكة العربية السعودية." *دراسات الخليج والجزيرة العربية*، العدد ٧٨، ١٩٩٦م، ص.ص.١٢٧-١٤٤.

[١٧] العسيري، أنور محمد خليل "لمحة عن بعض المساجد الأثرية في عسير." *بيادر : ملف ثقافي إبداعي يصدر عن نادي أبها الأدبي*، العدد الثالث ١٤١٠-١٩٨٩م، ص.ص.١٣٠ - ١٣٩.

[١٨] عبدالفتاح، أحمد كمال."التطور التاريخي للمسجد، البناء." السنة الأولى، العدد الأول، فبراير، مارس ١٩٧٩م، ص.ص. ٢٨- ٤٥.

[١٩] Eben Saleh, Mohammed Abdullah. "Al^{c}kas: the urban pattern of traditional settlement in southwest Saudi Arabia." *Urban Design International*, Vol. 2 (2), 1997, 93-107.

[٢٠] ابن صالح، محمد عبد الله. "عمارة المساجد في المناطق المعزولة: قرية آل الخلف (حالة دراسية)." *مجلة جامعة الملك سعود (العمارة والتخطيط)*، المجلد ٨،١٤١٦هـ، ص.ص. ٤٥-٦٧ (باللغة الإنجليزية).

[٢١] البراهيم، محمد حسين. "طريقة لتصنيف أشكال المباني." *مجلة جامعة الملك سعود* (العمارة والتخطيط) المجلد ٩، ١٤١٧هـ، ص.ص. ١-٣٠(باللغة الإنجليزية).

[٢٢] King G., R.D. *The Historical Mosques of Saudi Arabia*. London: Longman, 1986.

[٢٣] البراهيم، محمد حسين. "تطور عمارة المساجد في مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية." *مجلة جامعة الملك عبد العزيز*، المجلد ٨، ١٤١٦هـ، ص.ص.٢٣-٤٤.

[٢٤] الجوهري، أسامة محمد نور. "أعلام المباني: أسباب التباعد بين عمارة الحديث والقديم في المباني في مدينة الرياض." *حلقة العمران والبيئة*، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٦هـ، ١٦: ١-٣٧.

[٢٥] البراهيم، محمد حسين. "انتقادات للعمارة الحديثة في المملكة العربية السعودية." *مجلة جامعة الملك سعود* (العمارة والتخطيط) المجلد ٢، ١٤١٠هـ، ص.ص. ٦٣-٨٠ (باللغة الإنجليزية).

[٢٦] وزارة الشؤون البلدية والقروية. "المعايير التخطيطية للمساجد." *وكالة الوزارة لتخطيط المدن*، الرياض، ١٣٩٩هـ .

Mosque Architecture in the Highlands of Southwestern Saudi Arabia: Their Architectural Typologies and their Influence by the Mosque of the Prophet (PBUH)

Mohammed Eben Abdullah Eben Saleh

Department of Architecture & Building Sciences, College of Architecture & Planning, King Saud University
Riyadh, Saudi Arabia

Abstract: The architectural typology of mosques attracted the attention of numerous specialists as a result of its physical attributes as well as its role in giving an image for the intellectual and religious climate of the society. The existence of mosque has stamped the Islamic believes by providing the necessary physical environment, which cares about the psychological education for the members of Islamic society who practice worshipping. The study of original typologies of mosques in the highlands of southwest Saudi Arabia and pertinent artistic, decorative architectural and urban elements and the extent of influence of Prophet Mohammed mosque in Al-Madinah is considered a significant and an essential matter in the mean time.

The contrast in architectural and urban typologies in the villages of the highlands of southwest Saudi Arabia appeared as a result of historical development of residential, cultural and religious buildings. The mosque had significant importance in the planning of residential quarters and the village but the continuous drawback in understanding the local planning in the face of exotic intellectual waves had weakened that influence.

There is no escape from an outlook which invites the architects, planners and researchers in the field of architecture and planning to carefully re-think of considering the architectural and urban heritage during the planning and design of residential quarters and private and public buildings in the built environment. The matter is not merely concentrated on survey for the aim of documentation of that rich heritage which is exposed to be lost through time but rather the move towards its comprehension, understanding and perception of the meanings hidden in its composition and form. From this point, comes the importance of the research which deals with the analysis of the artistic, decorative architectural and urban typologies of the villages in the highlands of southwest Saudi Arabia for the utilization of them and the reach for new and contemporary syntax in the face of invading architectural and urban trends.